# الحكم الأسود في العراق

غائب طعمة فرمان



دار الفكر
١٩٥٧

الغلاف تصميم الفنان
حسن فؤاد

صدر عن دار الفكر
الطبعة الاولى ١٩٥٧

غائب طعمة فرمان

# الحكم الأسود في العراق



# مقدمة بقلم محمد كامل البنداري

هذا الكتاب الذى وضعه الكاتب العراقى غائب طعمه فرمان ، وتنشره دار الفكر واقدمه اليوم لمواطنى فى البلاد العربية هو عرض لحركة التحرير القومية فى العراق وتاريخ من زاوية خاصة لنضال وكفاح الشعب العراقى فى سبيل كسب استقلال وطنه من الاستعمار الاجنبى وازالة النظم التى اقامها وفرضها هذا الاستعمار ليحمى بها نفوذه ويمكن لسلطانه ، ويمكن ايضا لاستغلاله المزرى البشع لمرافق هذا الشعب وثرواته العظيمة الهائلة وموارد رزقه وحياته . ولكى يحقق الشعب بنضاله هذا سيادته على أراضى الوطن ومواردهفيتسنى له أن يستغلها هو بنفسه ولنفسه لما فيه خيره وسعادته .

تناول المؤلف تاريخ حركة التحرير القوميــــة ضــد الاستعمار البريطاني والحكومات التي تظهر فى الجو السياسى فى تشكيلات مختلفة تعرف باسم الوزارات وفقا للظروف والاحداث السياســية . وقد راى المؤلف ان يشمل عرضه هذا تاريخ الحركة القومية منــذ الحرب العالمية الاولى الى وقتنا هذا بما فى ذلك المحالفات التى نجح الاستعمار فى فرضها على الحكومات العراقية والمحالفات التى فشل فى فرضهـا امام مقاومة الشعب الجبارة بالمعارك التى خاضهـا . وينتهى المؤلف فى عرضه الموقف بحلف بغداد المشئوم .

روى المؤلف كما يرى القارىء فى مواضع عدة من كتابه وصفـــا لكثير من هذه المعارك وابرز صورة حية نامية للكفاح ولبعض الملاحم التى جرت بين قوات التحرير وقوات البطش والعدوان . وقد أخلص الكاتب فى روايته فى كثير من المواقف اذ روى لنا المواقع التى انتصرت فيها قوات التحرير والثمن الذى دفعته لهذا الانتصار من دماء غزيرة عزيزة علينا جميعا وعشرات المئات من المواطنين لاقوا من قوات البطش الوانا بشعة قاسية من التعذيب والتنكيل فى المعتقلات والسجون ، كما روى لنا المواقف التى لانت فيهـــا قوات التحرير أمام القـــوات المسلحة بمدافعها ودباباتها ووسائل الفتك التى سلحها بها الاستعمار البريطانى فـــلم تنتصر . وفى هـــذا قوتها فهى تعرف الاحتفاظ بنفسها كقـــوة مستمرة ناميـــة لتسترد من جـــديد تكوينها وتعبئة صفوفها . وما كان لهذا الكاتب ان يقوم بهذا العمـــل على النحو الذى بسطه فى كتابه لولا انه انخرط فى المعارك وعاشها وشـــهد احداثها وظروفها وتكيفت نفسه بها ، فلما اخرج من وطنه وشرد كما شرد الكثيرون من اخوانه المجاهدين المكافحين تحت القسوة والارهاب لم تنقطع صلته بالاحداث الجارية وظلت نفسه الثائرة متصلة باخوانه وزملائه المكافحين فى الداخل ، وراى وهو فى منفاه بعيدا عنهم أن يساهم

فوضع هذا الكتاب ويلوح لى انه قصد الى تعبئة الراى العام العربى فى مصر وفى سائر البلاد العربية ليقفوا بجانب اخوانه العراقيين فى كفاحهم المجيد فهو نداء الى القومية العربية . والقومية العربية قد وجدت ، وهى حقيقة واقعية ستكتب التاريخ ، اذ فى ميدان الشرق العربى ستكون المعركة الفاصلة والاخيرة للاستعمار الغربى فى أزمته الاخيرة . وهذه المعركة مفروضة على الاستعمار وعلينا ، وقد بدات فعلا ، وانتصرنا فى الجولة الاولى بالمعركة التى عرفت بمعركة بورسعيد وما زالت المعركة فى بدايتها . وما هو جار الآن فى العراق انما هو امتداد لها فلن يترك العراقيون وحدهم بل سنكون جميعا معهم . بهذا القصد ولهذه الغاية وضع هذا الكتاب مؤلفه الذى يسرنى ان اقدمه الآن وارحب به وأدعو له بالتوفيق .

واخيرا لا يسعنى الا ان اتجه الى تلك الفئة التى تتداول الحكم ان تنزل على مقتضيات هذا التطور وان تدرك هذا المصير ، فالعراق باقية ، ولكن الاستعمار زائل ، وكم يسرنا ويفرحنا ان يكونوا معنا لا علينا .

محمد كامل البندارى

اتعــــلم ام انت لاتعـــــلم
بان جــراح الضحـــــايا فم

اتعلم ان رقــــاب الطغـــاة
اثقـلها الغنم والمــــــــآثم

ستنهد ان فار هـــذا الـدم
وصــــوت هـــذا الفم الاعجم

اتعـــــلم ان جراح الشــهيد
تظل عن الثـــــار تستفهم

اتعـــــلم ان جراح الشــهيد
من الجـــوع تهضم مـــا تلهم

تمص دمـــا ثم تبغى دمـــا
وتبـــــقى تلح وتســـــتطعم

فقـــل للمقيم على ذلـــــه
هجيـــا يســـــخر او يلجم

تقحم لعنت ازيز الرصـــــاص
وجرب من الحظ ما يقســــم

فاما الى حيث تبـــدو الحياة
يعنيـــــــك مــكرمة تغنم

واما الى جـــدث لم يـــكن
ليفضــــله بيتـــك المظـلم

* * *

تقحم لعنت فمـــا ترتجى
من العيش عن ورده تحـــرم؟!

ا اوجـــع من الـــك المزدرى
واقتـــل من انـــك المعــدم

يقولون من هم اولاء الرعـــاع
فافهم بــدم : من هم !

وافهمـــهم بـــدم انهم
عبيــدك ان تــدعهم يخدموا

* * *

انبـــك ان الحمى ملهب
وواديــه من الم مفعــم

وان الــدماء التى طلـــها
مــدل بشرطتـــه مجــرم

ستبقى طويلا تجر الدمـــاء
ولن يبرد الــدم الا الـــدم

محمد مهدى الجوهرى

# الفصل الأول

## من تاريخ الحكم الوطني فى العراق

### عشر سنوات للمساومة

عندما دخل الانجليز العراق فى ديسمبر عام ١٩١٤ كانوا يزعمون أنهم جاؤوا لتحرير اهله من الجور التركى ، ومساعدتهم لتاسيس حكومة وطنية خاصة بهم ... بينما كانوا فى الخفاء يعقدون المؤتمرات لاقتسامه بين حلفائهم او يعتبرونه من ممتلكات التاج البريطانى .

وقد عانى العراقيون كثيرا من الاستبداد التركى ؛ فلما تبين لهم ان « محرريهم » يريدون كتابة تاريخ جديد من الاستقلال ، ويطمعون فى ان يكون العراق حقل حنطة ، وارضا يستنزفون منها البترول والخيرات الاخرى بلا مقابل ثاروا ضدهم بعد أربعة أعوام من الاحتلال العسكرى وطالبوا بالاستقلال والسيادة الوطنية .

وبينما كانت الثورة العراقية « عام ١٩٢٠ » فى نهايتها وصل السير برسى كوكس ، واستطاع ان يجمع حوله زمرة من المهادنين برئاسة عبد الرحمن النقيب ، ويؤلف منهم فى ٢٧ اكتوبر ١٩٢٠ أول وزارة عراقية جعلها مرتبطة به ، ووضع لها برنامجا تسير عليه ، وخطط هيكلا لادارة اهلية تعاون الانجليز فى الامور الادارية . وكان الانجليز فى لندن يفاوضون الامير فيصل ليتولى عرش العراق تحت انتدابهم .

وفى مؤتمر القاهرة المنعقد فى ٢٢ فبراير ١٩٢١ أعلنت بريطانيا عن رغبتها فى ان تهب الامير فيصل عرش العراق لينشىء حكومة « دستورية نيابية ديموقراطية مقيدة بقانون »

وفى ١١ يونيو اصبح فيصل ملكا .. وبدأ الانجليز يصوغونه بأيديهم الحكم الذى يريدونه للعراق .

وكان المندوب السامى البريطانى « ملكا غير متوج » والادارة الاهلية التى خلقها لتعاونه فى الحكم تحت ظل الانتداب قد فشلت فاضطر ان يأخذ على عاتقه صنع كل شىء للمملكة الفتية !

وفى البداية الف بمعاونة موظف فى وزارة الاستعمار معاهدة عرفت بمعاهدة ١٩٢٢ اعطت الانجليز حقا فى حكم العراق بواسطة موظفين بريطانيين ، وابقت على جيوشهم حفاظا عليه ، وعهدت الى بريطانيا بادارة شئون العراق الخارجية ، واطلقت الحرية التامة للتبشير ... ثم جعلت كل شىء لايجرى الا باستشارة المندوب السامى ! .

ووافق مجلس الوزراء على المعاهدة وسط مظاهر السخط والثورة واخذ برسى كوكس يتهيأ لانتخاب مجلس تأسيسى مهمته البت فى المعاهدة وسن الدستور ، ووضع قانون للانتخابات . وكان الانجليز يكتمون الانفاس بالارهاب ، وينبثون فى كل مكان،ويصادرون حركات الناس : فعارض المواطنون الاشتراك فى انتخاب مجلس خطير فى مثل هذه الظروف ، وقاطعوا الانتخابات ، واصدرعلماءالدين فتاويهم فى ذلك ، وطالبت الجماهير باخراج المفتشين المنبثين فى كل مدينة عراقية .. غير ان انتخابات المجلس التأسيسى تمت بعد زمن ، وعقد المجلس اول اجتماعاته فى ٢٧ مايو ١٩٢٤ .

وبينما كان المجلس التأسيسى يناقش المعاهدة كانت المظاهرات تجرى فى بغداد ، وتحدق ببناية المجلس ، وتقتحم حراسة البوليس، وتطلب الى أعضائه رفض المعاهدة .. غير ان المندوب السامى ركبه راسه ، وهدد وحذر النواب من اى تعديل يجرى على المعاهدة ، وامرهم بتوقيعها دون تأخير .

**وتم له ما أراد ، وصادق المجلس باقلية «٣٧» صوتا من مجموع « ٦٩ » صوتا ، وغياب « ٣١ » صوتا اخر .**

## وبدات حكاية دستور المملكة

كانت المادة الثالثة من معاهدة ١٩٢٢ تنص على ان « جلالة ملك العراق يوافق على ان يضـــع قانونا أساسيا ليعرض على المجلس التأسيسي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذى يجب أن لايحتوى على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة .

وحين انتهى المجلس التأسيسي من تصديق المعاهدة أخذ الميجر «يانك» التابع لدائرة الشرق الاوسط فى وزارة المستعمرات ، والمستر « داور » المستشار الانجليزى لوزارة العدل العراقية على عاتقهما صياغة الدستور العراقى ، وتشاوروا مع المستر « نايجل دافيدسن » السكرتير القانونى للمندوب السامى ، ومع المنـدوب السامى نفسه وبعد أن انتهى هؤلاء من كتابة الدســـتور راجعته لجنة عراقية ، وقارنته بالدستور العثمانى ، ثم أرســـل الى وزارة المستعمرات البريطانية حيث أجرت تعـــديلات عليه . وعرض فى النهاية على المجلس التأسيسى فوافق عليه .

وهكذا أصبح للعراق دستور بفضل وزارة المستعمرات والمجلس التأسيسى الذى قال عنه الكاتب العراقى فهمى المدرس : **« انه وضع حجر الزاوية فى صرح الاستعمار ، واقرهم ما أرادوا ، ومهد لنـــا العذاب الأليم .. وهكذا تم للاجنبى الامر على أيدى الغافلين والمغفلين ... وكذلك قل عن المعاهدات والمقاولات والانظمة والقوانين »** .

وحين عادت الموصل الى العراق أعد الانجليز معاهدة ثانية لمد أجل انتدابهم ٢٥ عاما . ثم أعدوا معاهدة ١٩٢٧ تحاشوا فيها ذكر الانتداب مع الابقاء على كل امتيازاتهم السابقة ، ووعـــدوا العراق بدخول العصبة ، وأعدوا للمندوب السامى مركزا ضخما يشرف منه على شئون العراق بحجة « اعطاء معلومات الى صـــاحب الجلالة البريطانى عما يتعلق بتقدم الاحوال فى العراق وبمشاريع واقتراحات الحكومة العراقية »

وخلال السنوات العشر من « الحكم الوطنى » استطاع الانجليز أن يصطفوا لانفسهم جماعة من المهادنين والاصدقاء يحكمون باسمهم ويعبرون عن وجهة نظرهم ، ويفرضون على الشعب ارادتهم .

ومنـــذ ان دخل الانجليز العراق كانوا يزعمون ان العراقيين لا يستطيعون تدبير شئون بلادهم بأنفسم ، ولا يقدرون على الاستقلال بالحكم ... ذلك لانهم يفتقرون الى الموظفين الاكفاء ، والى رجـال دولة موثوق بهم .

وقد أخذ الانجليز على عاتقهم اصطفاء « رجال الدولة » .. وابتداء من أول وزارة عراقية بدأ الانجليز يختارون لهم « رجال الدولة » ويربونهم تربية خاصة ، ويغدقون عليهم النعم ، ويربطون مجدهم السياسى باستعمارهم ، ويصيغون لهم « عقلية » ليس فى ميسورها أن تتصور « عراقا » بلا سادة انجليز ! ..

وتكون خلال هذه السنوات العشر هيكل « فئة » تربت تحت ظل الانتداب ، وفى رعاية المندوب السامى ، وتشبعت عقليتها بروح الاستبداد والحكم الفردى والسخرية بالشعب ، وتمكلت جهـازا للقهر يتعاظم على ممر الايام .

وفى الوقت الذى كانت الجماهير تزداد حقدا على الاستعمار ، وادراكا لاساليب المساومة ، كانت تلك الفئة تقوى أواصر ارتباطهـا بالمستعمر وتحنى ظهورها له .. وشـيئا فشيئا تبـين لهـا أن استمرارها فى الحكم لايكون الا بوسائل التنكيل ومصادرة الحريات .

غير ان هذه الفئة لم تستطع قمع الحركة الوطنية التى كانت تنمو فى احلك الاوقات ورغم كل أساليب الطغيان . وفى عام ١٩٣٠ وبعد عشر سنوات من الحكم التعسفى قامت فى بغـداد وفى مـدن عراقية اخرى حركة شعبية ضد الاستعمار الانجليزى ، وضـد المساومات التى تجرى فى الخفاء على مستقبل العراق بين الانجليز وبين الزمرة التى اعطوها مقاليد الحكم . فأضربت بغداد ، وجرت المظاهرات فى الشوارع تحمل شعارات **« ارادة الامة فوق الجميع »** و **« ليحيا العراق مستقلا »** و **« ليحيا الشعب ولنعش مستقلين »**

و « للوطن نحيا وللوطن نموت » وخرج اكثر من « ١٠٠ » ألف متظاهر عقب صلاة الجمعة ، وتظاهروا فى بغداد محتجين على سياسة الانجليز ، ساخطين على الاوضاع القائمة . واتجهوا الى السفارات الاجنبية ، وابلغوها الاحتجاج التالى :

**« العراق بأسره ساخط وناقم على سياسة الكتمان والتمويه التى درج عليها الانجليز فى حكمهم العراق .. فقد مرت عليه عشر سنين كوامل عانى فيها الشعب شر ماتعانيه الشعوب المضطهدة ، ونال من سوء الادارة البريطانية مالم تنله الشعوب الرازحة تحت الاستعمار المقوت . فالشعب العراقى الذى خسر فى صداقته لبريطانيا الشيء الكثير من حقوقه وامانيه القومية يحتج على هذه السياسة الغاشمة أشد الاحتجاج ، معلنا للملأ أن تمادى الانجليز فى سياستهم هذه يزيد من حنق الامة المضطربة ، وينذر بما ينجم عن هذا الحكم المقوت وهو يطلب تبدلا جوهريا فيه .. واذا كانت عصبة الامم ومن ضمنها بريطانيا داعية حقا الى السلم العالمى فعليها أن تستمع الى نداء الشعوب المطالبة بحقوقها قبل أن تنقلب تحديد المصالح .. لأن ذلك أضمن للسلم » .**

## نورى السعيد

وحين بلغ الامر حدا ينذر بالخطر ، ويهدد المصالح الاستعمارية فى الصميم جاء الانجليز بصديقهم الوفى نورى السعيد .. وسلموه لاول مرة رئاسة الوزارة

ونورى السعيد صديق قديم للانجليز . كان من قبل ضابطا فى الجيش التركى ، واشتغل فترة من الزمن فى المنظمات السرية وقد أسره الانجليز فى بداية حربهم ضد الاتراك ، وجعلوه ينضم الى جيش الشريف حسين الذى كان يتعاون معهم لطرد الاتراك لقاء وعود فى اعطائه عرشا . واصبح نورى السعيد بعد ذلك صديقا للسير لورنس ، مؤمنا بمبادئه ، معجبا بأساليبه السياسية وكان يقف الى جانب الانجليز فى حل المشاكل التى كانت تنشأ بين القبائل وبينهم .

وعندما اراد الانجليز منح عرش العراق للامير فيصل ذهب نورى السعيد مع فيصل الى لندن ، وشهد مباحثاته مع الانجليز . وحين اصبح الامير فيصل ملكا رجع نورى السعيد الى بغداد واصبح على اتصال وثيق بالسير برسى كوكس اول مندوب سام فى العراق وكان صاحب فضل لاينكر فى الفتك بالمطالبين بالاستقلال التام للعراق حتى عينه الانجليز بادىء الامر مديرا للامن العام ، فكان ساعدهم الايمن فى حملاتهم للقضاء على الوطنيين . ولترسيخ حكم الانتداب . ثم نصبوه عام ١٩٢٢ وزيرا للدفاع عندما بداوا ينشئون نواة الجيش العراقى لمعاونتهم فى ضرب العشائر الثائرة والاقليات التى كانت لا تخضع لحكمهم .

وعندما كان المجلس التأسيسى يناقش اول معاهدة انتداب جاء نورى السعيد بجنوده . وحاصر المجلس ، واطلق على المتظاهرين النار . وكان فى جانب برسى كوكس ضد مواطنيه .

وقد تسلم نورى السعيد وزارة الدفاع خمس مرات خلال الاعوام الثمانية التى اعقبت تصديق المعاهدة العراقية الاولى كان فيها سوطا بيد الانجليز . وعدوا لدودا لكل وطنى .

واعترافا بكل هذه الخدمات دعاه الانجليز الى رئاسة الوزارة حين تحرجت الحال ، ولم يعد ثمة مناص من وجود طاغية لقمع الحركة الوطنية

وجاء نورى السعيد فى ٢٣ مايو ١٩٣٠ وقد أعد الانجليز له مشروع معاهدة ١٩٣٠ لفرضه على العراق بالقوة ..

وتسلم نورى السلطة كالفاتح . وضع خطابا طويلا للملك فيصل يملى عليه شروطه قائلا :

**(( ان أهم مسألة سنضعها أنا وزملائى نصب اعيننا ، ونبذل كل مافى وسعنا لانجازها طبق رغبات جلالتكم ورغبات الامة هى وضع المعاهدة العراقية الجديدة بيننا وبين حكومة صاحب الجلالة البريطانية التى سنبدأ بعون الله تعالى فى البحث فيها خلال عشرة**

**ايام على اســاس الاستقلال ! ! .. ولاجل هذا ارى من الضـرورى اجراء استفتاء عام بطريقة الانتخابات للبت فى المعاهــدة والنظر فى قانون الدفاع الوطنى لتاليف الجيش الذى يحتاج اليه الوطن ..**

وكان العراق فى ضائقة اقتصادية ، وامور الحياة فيه مضطربة فقال نورى السعيد انه سيعالج ذلك « بالنظر فى الاستفناء عن بعض الموظفين الاجانب فى السنتين المقبلتين ، واعادة النظر فى تشكيلات ادارة الدولة من حيث كفاية موظفيها وسلطانهم »

والخطة التى وضعها نورى السعيد تهدف بعبارة صريحة الى هذه الاهداف :

**١ ـ اجراء انتخابات لتاليف مجلس نيابى يرضى بما يجيء بـه نورى السعيد**

**٢ ـ فرض معاهدة جديدة تراعى فيها المصالح البريطانية الى اقصى حد**

**٣ ـ القيام بحملة فصل الموظفين واقصاء العناصر الوطنيـة منهم .**

**٤ ـ انشاء جيش بطريقة تكفل استخدامه ضد التذمر المتزايد**

**٥ ـ القيام بتسوية نهائية لجميع المســائل المعـلقة على نحــو يطمن رغائب الانجليز**

ولتحقيق ذلك فعل نورى السعيد مايلى :

حل المجلس النيابى لينفرد بالسلطة . وسافر الى لندن بعـد ان اخذ قرارا من مجلس وزارته على ان يفاوض الانجليز فى مشروع المعاهدة ، ويتوصل معهم الى مقترحات دون أن يبت فى شيء كنص نهائى غير أن نورى السعيد تحدى هذا القرار ، واتفق مع الانجليز على نصوص نهائية للمعاهدة دون استشارة أحــد ، واتم توقيع المعاهدة بينه وبين الانجليز فى ٣٠ يونيو ١٩٣٠ وجاء بها الى بغداد وعلى اثر ذلك استقال وزير ماليته ، وسرت فى البلاد موجة غضب ضد المعاهدة ، وانتقدت انتقادا شديدا من قبل كثير من السياسيين على اختلاف آرائهم . فقال عنها رشيد عالى الكيلانى :

**« اقل ما يقال عن المعاهدة العراقية الجديدة انها استبدلت الانتداب المؤقت بالاحتلال الدائم ، واباحت لبريطانيا أن تستخدم العراق لمصلحتها دون مصلحته ، وأضافت الى القيود والاثقال الحالية قيودا واثقالا أشد وطأة » ..**

وقال عنها كامل الجادرجى :

**« ان نتيجة هذه المعاهدة وذيولها حماية شديدة الوطأة ، واحتلال دائم ، وقضاء مبرم على الجامعة العربية ، وذيولها غير قابلة للاحتمال»**

وقال السيد مهدى :

**« ان المعاهدة جعلت العراق ميدانا للمصالح البريطانية وجزءا من مستعمراتها »**

وقابل نورى السعيد هذه الحملة بالشك فى نيات المعارضين فقال فى بيان له : « .. والى ان يبرهن هؤلاء الذوات على ان اجتماعهم على نقد المعاهدة هو لغرض وطنى سام ، ولمصلحة البلاد لا لمصلحة اخرى فمن حق الرأى العام ان يشتبه فيهم ، وان ينظر الى اتفاقهم فى الرأى بعين الريبة ! .. »

ومعاهدة ١٩٣٠ لون جديد من الانتداب ، فقد ربطت العراق ببريطانيا ومصالحها رأسا . وحرمته مادتها الاولى من حق التمتع بالسيادة الخارجية حيث اشترطت ان تجرى بينهما « مشاورات تامة وصريحة فى جميع شئون العراق الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة » وفى حالة الحرب الزم العراق على التفاوض مع بريطانيا لاتخاذ خطوات موحدة ، وتقديم التسهيلات والمساعدات للقوات البريطانية كاستخدام السكك الحديدية والطرق والانهر والموانىء والمطارات ، وان يعطى العراق لبريطانيا ـ طيلة مدة التحالف وهى ٢٥ عاما ـ قاعدتين جويتين « يختارهما صاحب الجلالة البريطانية فى البصرة اوفى جوارها ، وموقعا واحدا لقاعدة جوية يختارها صاحب الجلالة البريطانية فى غرب الفرات » ، كما يسمح العراق بان تقيم بريطانيا « فى الاماكن المذكورة قوات بريطانية » . والزمت المعاهدة

العراق بان يختار المدربين العسكريين للجيش من الانجليز وأعطتهم امتيازات كثيرة ، واطلقت ايديهم فى كل المرافق العسكرية وأجبرت العراق على ان يتخذ أسلحته من نوع « لايختلف عن أسلحة الجيش البريطانى »

وبعد ان أتم نورى السعيد توقيع المعاهدة أخذ يجرى انتخاباته للحصول على برلمان يرضى بها .

وكان الناس يعرفون نتيجة الانتخابات قبل البدء فيها . فقد اعد نورى السعيد العدة لتزييفها بصورة تامة . فقاطع الشعب الانتخابات واخذ البوليس يجمع الناخبين من الشوارع . ويسوقهم بالقوة الى صناديق الانتخابات ، ويجبرهم على انتخاب رجال معروفين بولائهم لنورى السعيد . وحين كانت الانتخابات تجرى أصدر الوطنيون بيانا موجها الى الشعب العراقى تحدوا فيه نورى السعيد ودعوا الى القيام باضراب عام . وقد جاء فى البيان :

**« أيها الشعب العراقى العظيم !..**

**« أنت تقاسى الجوع والعرى ، والانجليز وأتباعهم سبب جوعك وعريك ، وهم ينعمون بثروتك وغناك ، وهم الذين مزقوا قومك وساموك الذل ، فلهم فى كل موطن من مواطننا مظالم . ففلسطين مرهقة يشتت الانجليز ابناءها من ديارهم ليسكنوا الصهيونيين الاعداء فيها ، وقد ارهقوا وما زالوا يرهقون العرب فى انحاء جزيرتك .. فهذا الفقر ، وتلك المظالم والمعاهدات الجائرة تدعوك الى الاضراب بعد ظهر يوم الاثنين ٢٢ سبتمبر ١٩٣٠ »**

واحتدم نورى السعيد غيظا ، واعتبر البيان تحريضا على كراهية الحكومة ، واخلالا بالامن الداخلى ، فأمر بالقبض على فريق من القائمين على الاضراب ، وقدمهم الى المحاكم حيث صدرت أحكام مختلفة ضدهم .

وجرت الانتخابات ، وجاء مجلس مطابق للمرام ، ودعى الى

جلسة مفاجئة فى يوم الافتتاح ، وعرضت عليه المعاهدة فصادق علبها بعد ست ساعات .

وهكذا تم لنورى السعيد ما أراد ، وقد كتب المندوب البريطانى اذ ذاك فى جريدة «الديلى تلغراف » يقول معلقا على انتخابات ١٩٣٠ :

**« ان ساسة العراق كلهم ضدنا ، وضد مايسمونه حلف البلاد ودار الاعتماد .. ولولا أساليب انتخابية خاصة لما حصلنا على مجلس يرضى بالتصديق على المعاهدة العراقية »**

وبعد تصديق المعاهدة اخذ نورى السعيد يسن القوانين التعسفية للانتقام من خصومه . وتحطيم المعارضة ، وشرع قانونا لرسوم البلديات فرض فيه ضرائب جديدة على المواطنين ، فانبرى الشعب يحتج ويموج بالثورة ، وبعد ايام من اعلان هذا المرسوم اعلنت بغداد الاضراب . . ثم تبعتها بعقوبة ، والكوفة ، وكربلاء ، والنجف ، والرمادى ، والكوت وكثير من المدن العراقية . واستمر الاضراب أربعة عشر يوما ، وتطور السخط على مرسوم البلديات الى حركة وطنية ضد نورى السعيد وأخذ الشعب يطالب بالمطالب التالية :

**١ ــ الغاء رسوم البلديات المستحدثة ، وتخفيض القديم منها**
**٢ ــ النظر فى قضية العمال العاطلين**
**٣ ــ الغاء قانون ضريبة الدخل**
**٤ ــ اطلاق سراح كافة الموقوفين من جراء حوادث الاضراب**
**٥ ــ الاحتجاج على قسوة البوليس ،وعلى منع عقد الاجتماعات**

وطفق نورى السعيد يقمع الحركة بالقوة ، واعطى لبوليسه الحق فى ضرب الناس بالنار ، فجرت فى يومى ١١و١٢ يوليو مذابح دموية فى بغداد ولواء المنتفك . واضربت البصرة فى ١٥ يوليه ، وارسل نورى السعيد الجيش لقمع اضرابها .. وغرقت البلاد فى فيض من الدم فاستقال جميل المدفعى من رئاسة مجلس النواب ، وقدم بعض الوزراء والنواب استقالتهم ، واجبروا نورى السعيد على ترك الوزارة

## عهد مضطرب

وسارت الامور بعد ذلك سيرا مضطربا .

وكان نورى السعيد قد نجح فى بث المستشارين الانجليز فى كل

ادارة عراقية ، واعطاهم دور التوجيه فى السكك الحديدية والجيش والميناء . وكان هؤلاء يتدخلون بوقاحة ، ويحكمون خلف ستار ، ويوجهون كل اجهزة الدولة نحو المصالح الانجليزية .

وسن نورى السعيد للحكام سنة فى حل المجلس النيابى وقت مايشاؤون ، فكانت المجالس النيابية تشكل ، وتحل بسهولة ، وبعيدا عن رقابة الشعب ، وتؤلف « احزاب » من بين النواب الفائزين مهمتها الوحيدة اطالة عمر الوزارة التى صنعت انتخابات المجلس ، وكافحت لتأتى بأكثرية تساندها . وكانت الانتخابات تزور علنا ، وبصر كبير وقانون الانتخابات يقضى بان ينتخب الناس ناخبين يحق لهم وحدهم الاشتراك فى انتخابات نواب الامة . وعلى هذا النحو ــ تزور الانتخابات مرتين ، ويأمن الحكام من شر الشعب الذى يحكمونه قسرا وبحراب البوليس .

وكانت البلاد تغرق فى خصومات شخصية وقبلية .. وابتدا من وزارة على جودت الايوبى التى تسلمت الحكم فى عام ١٩٣٤ اجتاحت البلاد حركة خصام دموى من أجل السلطة . وبدأ التناحر بين الموظفين والاقطاعيين الذين جعل الانجليز منهم وزراء ورؤساء وزارات . واخذت القبائل تثور ، وتعلن عصيانها ، وقامت الثورات فى الرميثة وسوق الشيوخ ، والناصرية ، وأعلنت الاحكام العرفية . وسيق المتمردون الى المجالس العرفية ، وحكم عليهم بأحكام قاسية .

وسارت الامور على هذه الشاكلة فى عام ١٩٣٦ حين حدث انقلاب بكر صدقى .

وبكر صدقى هذا كان قائدا للفرقة الثانية فى الجيش العراقى اشترك فى حملات التأديب التى وجهتها الحكومة ضد قبائل الجنوب ، وضد التياريين ، وفى عام ١٩٣٦ أصبح نائبا لرئيس أركان الجيش . واذ ذاك كانت البلاد قد ضجرت من الاضطرابات ، ومن تنازع الحكام على السلطة فدبر بكر صدقى مع عبد اللطيف نوير قائد الفرقة الثانية انقلابا لانتزاع السلطة من الذين توارثوا الحكم واستأثروا به

وفوجىء الناس فى ٢٩ اكتوبر ١٩٣٦ بطائرات الجيش العراقى

في سماء بغداد تلقى منشورات تعلن نفاذ صبر الجيش ، وتطالب الملك غازى باقالة الوزارة ، وتولية حكمت سليمان رئيسا للوزارة الجديدة ، فاضطر ياسين الهاشمى رئيس الوزراء الى الاستقالة فى نفس اليوم .. ونفذت مطالب بكر صدقى .

وقامت مع الانقلاب حركة وطنية تطالب بازالة آثار الماضى ، واصدار العفو العام عن السجناء السياسيين ، وفتح النقابات ، واعادة اصدار الصحف المغلقة ، وتشجيع الصناعات المحلية ، وتوحيد الحركات الشعبية .

غير أن بكر صدقى اخذ يتيه غرورا ، ويمتلىء صلفا ، واخذ يتدخل فى شئون الوزارة ، ويحاول توجيه أعمالها لاغراضه ، فاضطر ثلاثة من وزراء حكمت سليمان الى الاستقالة وهم كامل الجادرجى وجعفر ابو التمن وصالح جبر . وبخروج هؤلاء سارت وزارة الانقلاب نحو الانهيار ، والتفكك ، وفقدت التأييد . وانتهت بمقتل بكر صدقى فى الموصل فى ١١ اغسطس ١٩٣٧ .

وبعد ذلك شنت حملة بشعة ضد العناصر الوطنية التى ساندت حكومة الانقلاب أول الامر . وكان نورى السعيد محتميا عند السفير البريطانى فى عهد الانقلاب ، فلما سقطت وزارة حكمت سليمان أعتبر ذلك نصرا له .. وجاءت وزارة المدفعى تتنزى حقدا على الافكار الوطنية ، فأصدرت مرسوما لمنع الدعايات المضرة التى تهدف « الى عدم افساح المجال لبعض الاشخاص باعمال من شأنها ان تعكر صفو الامن والهدوء والاستقرار » وقد اعطى هذا المرسوم الحق لمجلس الوزراء اذا اقتنع ــ وفق تقرير يقدمه وزير الداخلية ــ بأن شخصا ما يقوم « بدعاية مضرة » أن يلزمه على الاقامة فى مكان معين ، او يمنعه من الاقامة فى مكان او امكنة معينة داخل العراق لمدة لاتزيد عن ثلاث سنوات يكون فيها تحت مراقبة البوليس .

وكان نورى السعيد من وراء وزارة المدفعى يدبر لحسابه الخاص حركة انتقامية ، ويتلاعب بالجيش ، ويغرى بعض ضباطه للقيام

بانقلاب عسكرى لصالحه قائلا انه « لن يترك حكم مملكة تعب فى تكوينها وانه سيعمل بكل وسيلة لهذا السبيل .. »

وهكذا قام نورى السعيد يعاونه بعض الضباط بحركة اسقاط للوزارة وجاء الى الحكم فى ٢٥ ديسمبر ١٩٣٨ . وحل مجلس النواب وزعم بأنه اكتشف مؤامرة لقتل رجال الجيش والوزراء . وبعض الضباط الكبار .. ولاجل ذلك قرر اعلان الاحكام العرفية .

واستخدم نورى السعيد الاحكام العرفية للانتقام من أعدائه وصدرت أحكام قاسية ضدهم ، ثم قتل الملك غازى فى حادثة تصادم وكان غير راض عن مسلك نورى السعيد . وخلا له الجو . وطفق يؤلف الوزارة تلو الاخرى وفق هواه ، واصبح خلال عامين الدكتاتور المهيمن على كل شيء ، والمستبد بكل شيء .

وهكذا انتهت سنوات عشر أخرى على « الحكم الوطنى »

## حركة ١٩٤١

ومثلما انقضت السنوات العشر الاولى من « الحكم الوطنى » فى المساومة وحكم الانجليز المباشر انقضت السنوات العشر الثانية فى الصراع المكشوف بين الشعب من جهة ، وبين الاستعمار والحكام الذين فرض بواسطتهم معاهدة ١٩٣٠ من جهة أخرى . وقد تكشفت منذ البداية مساوىء هذه المعاهدة ، ومقدار ماتصيب سيادة الوطن من ضرر .

كان الانجليز بموجبها يهيمنون على البلاد بواسطة مستشاريهم ، وكان للسفير البريطانى امر لايعصى ، وكان الجيش العراقى يسيطر عليه الانجليز ، ويحاولون استخدامه لاغراضهم الخاصة .

واغلب الذين تسلموا الحكم فى ظلال الحماية الانجليزية بدأوا يتعفنون واخذ أحدهم ينازع الآخر على السلطات .. وشيئا فشيئا استهتروا بالدستور ، وعبثوا بالقوانين ، وأحس الاستعمار الذى يحكم بواسطتهم ان حكم هؤلاء عسير مالم تسنده القوانين الرجعية التعسفية ..

وفى تلك السنوات تأسست « شركات » للحكم تتألف من الواليت للانجليز ورجال الاقطاع والموظفين العاجزين وذوى المصالح الكبرى - وكان هؤلاء يحكمون العراق حكما فرديا ، ويفرضون القوانين الجائرة ويسخرون القبائل لخدمتهم ، ويحلون المجالس النيابية ويصنعوت غيرها ، ويجمعون غالبية برلمانية يؤلفون منها « احزابا » لاتستند الى مبدأ فكرى ، ولا الى خطة سياسية .

وهكذا شهدت السنوات العشر « برلمانات » كثيرة كما شهدت احزابا موقوته ببقاء مؤلفيها فى الحكم .

**وكان الشعب فى تلك المدة لايكف قط عن نضاله ضد هؤلاء الحكام الرجعيين ، وضد الاستعمار الذى جاء بهم . وكانت المظاهرات تقام والمصادمات الدموية تحدث فى كل عام تقريبا . وكان الحقد على الانجليز وعلى سماسرتهم يزداد ويشتد ساعده ، ويبلغ التذمر من طريقة الحكم اقصاه ، ويعبأ الشعور الوطنى ضد الاستعمار ، وضد معاهدة ١٩٣٠ التى اباحت له التحكم فى البلاد .**

واظهرت الحرب فى بدايتها الشر الحقيقى الكامن وراء معاهدة ١٩٣٠ .

كان نورى السعيد فى الحكم عندما اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا عام ١٩٣٩ . فطلب السفير البريطانى منه اعلان الحرب على المانيا نزولا على نصوص المعاهدة ، فقطع نورى السعيد علاقة العراق الدبلوماسية مع المانيا وسلم الالمان الموجودين فى العراق الى السلطات البريطانية كأسرى حرب حيث أرسلوا الى الهند .

وفى ٣١ مايو ١٩٤٠ جاء رشيد عالى الكيلانى الى الحكم . وكان غير راغب فى الدخول فى الحرب ، وغير راض عن تصرفات نورى السعيد وولائه المطلق للانجليز . . كما كان من المعارضين لمعاهدة ١٩٣٠

وبديهى ان الانجليز لم يرتاحوا لوجوده فى الوزارة فى وقت عصيب بالنسبة لهم ، وقد اصطدموا معه بادىء الامر حين طلبوا منه قطع علاقته مع ايطاليا فرفض ، واخذوا يثيرون المشاكل له ، وامتنعوا عن شراء القطن الذى اعتادوا شراءه فى كل موسم . وطالبوا باستقالته

وبدأ بعض وزرائه يستقيلون ، وسافر الوصى الى الديوانية ليعرقل اعمال الوزارة بعد ان عرف بأن الكيلانى يريد حل مجلس النواب .

وفى ٢١يونيو أبلغ السفير البريطانى حكومة رشيد عالى بأن بريطانيا قررت انزال جنود لها فى البصرة للسفر الى حيفا ، وطلبت التسهيلات المنصوص عليها فى معاهدة ١٩٣٠ ، فلم يوافق الكيلانى ، واستقال نورى السعيد وزير الدفاع احتجاجا على ذلك . وبدأت الامور تتعقد حتى اضطر الكيلانى الى الاستقالة ، فقبلها الوصى ، وعهد برئاسة الوزارة الجديدة الى طه الهاشمى وزير الدفاع فى الوزارة الكيلانية . . ثم عاد الوصى الى العاصمة بعد أسبوع من تاليف الوزارة الجديدة .

وفى عهد وزارة طه الهاشمى صدرت أوامر لنقل بعض قواد الجيش ، فرفض هؤلاء المثول لامر النقل ، وتوالت الاخبار على بغداد بان القبائل فى الجنوب موشكة على الثورة ، وبأن الضباط يضيقون بطه الهاشمى ، فاضطر الهاشمى الى الاستقالة بعد ان فشل فى «تهدئة الاحوال وازالة التوتر » .

وبعد استقالة طه الهاشمى ، وعصيان ضباط الجيش لاوامر الحكومة ذهب الوصى بسيارة من سيارات السفارة الامريكية الى قاعدة الحبانية ، ومن هناك نقلته طائرة انجليزية الى البصرة مع نورى السعيد وجميل المدفعى وعلى جودت الايوبى . وبقيت البلاد بلاوزارة فترة من الزمن ، فاجتمع العقداء الاربعة وهم أمين زكى وصلاح الدين الصباغ وفهمى سعيد ومحمود سلمان برشيد عالى ، وأعلنوا تأليف حكومة الدفاع الوطنى ، وعهدوا الى رشيد عالى برئاستها فى ٣ ابريل ١٩٤١ .

وهز الانقلاب أعصاب الانجليز ، فقرروا انزال قواتهم فى البصرة واصطدموا بالجيش العراقى فى ٢ مايو . ورأوا من ضمن مجهودهم الحربى العام الاسراع فى القضاء على هذه الحركة ، فعبأوا كل امكانياتهم لدحرها وتغلبوا على مقاومة الجيش بعد ٢٩ يوما ، وبعد ان استقدموا قوات من الاردن بقيادة جلوب .

ودخل الانجليز بغداد بعد ان تركها رشيد عالى والقواد الاربعة

وعاد الوصى الى العاصمة بصحبة نورى السعيد والآخرين .. وتألفت وزارة جديدة برئاسة جميل المدفعى .

وأدى فشل حركة رشيد عالى الى ان يحكم الانجليز العراق حكما مباشرا وان ينتقموا انتقاما مروعا .. وابتداء من نهاية تلك الحركة تدفقت الجيوش الانجليزية الى العراق ، وأعلنت الاحكام العرفية ، وأصدرت الوزارة الجديدة أحد عشر مرسوما من بينها ذيل مرسوم الادارة العرفية الذى اجازت فيه الحكم الغيابى .

وعينت بريطانيا السر كونهان كورنواليس سفيرا لها فى العراق للقيام بتصفية نهائية لاعدائها .. وشهد العراق عهدا مريرا ترددت فيه الحياة الاقتصادية واستحوذ الانجليز على كل شىء فى العراق ، وطالبوا بالتعويضات والديات عن قتلاهم .

**وأدخلت على الدستور تعديلات من بينها :**

**١ ـ جواز نقل العاصمة العراقية من بغداد**
**٢ ـ التأكيد على وراثة الاسرة الهاشمية من أبناء الحسين لعرش العراق .**
**٣ ـ اعطاء الملك حق اقالة رئاسة الوزارة**
**٤ ـ منح الوزارة حق اتخاذ اجراءات سريعة أثناء العطلة البرلمانية وذلك من أجل المحافظة على النظام العام أو لدرء خطر عام ، أو للموافقة على نفقات خاصة ، أو لتنفيذ التعهدات التى تنص عليها المعاهدة العراقية البريطانية .**

* * *

# الفصل الثاني

# العراق والأحلاف

## عالم مابعد الحرب :

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى بدأت الحركات التحررية تنشط بين الشعوب المستعمرة . وترتفع أصوات الملايين مطالبة بالحرية والديمقراطية والاستقلال .

**وفى عام ١٩٤٦ شهد الشرق مدا ثوريا رائعا . ففى مصر تأسست « لجنة الطلبة والعمال » وقادت نضالا بطوليا من أجل الجلاء والديمقراطية والاستقلال التام . وفى سوريا ولبنان قامت الجماهير مطالبة بجلاء الفرنسيين وانشاء حكم وطنى . وفى الهند دخل الكفاح الشعبى مرحلة الاصطدام ، فقام البحارة والعمال الهنود بحركات تمرد ضد الاستعمار الانجليزى .**

**وفى العراق بدأت حركة مد ثورى بعد أن أطلقت وزارة توفيق السويدى الحياة الحزبية** ، وسمحت بتأليف خمسة أحزاب وطنية . . ومن خلال الحرية النسبية استطاع الشعب العراقى أن يتنفس ، ويطالب بمطالبه الوطنية ، ويهيء صفوفه للخلاص النهائى من الاستعمار .

وفى وزارة أرشد العمرى التى أعقبت وزارة السويدى فى يونيو ١٩٤٦ خاض العمال العراقيون نضالا صلبا فى سبيل مطالبهم العمالية فكان عمال السكك الحديدية يكافحون لترسيخ حقهم النقابى . وعمال النفط فى كركوك يطالبون بزيادة أجورهم ، وتهيئة دور لسكناهم ،

وتطبيق قانون العمال عليهم .. وكانت البلاد كلها ملتهبة بالثورة والروح الوطنية بصورة ارعبت الانجليز وسماسرتهم ، فعمد العمرى الى قمع الحركة الوطنية بالقوة . وحدثت مذبحة « كارو باغى » فى كركوك ، والاعتداءات المنكرة على عمال السكك الحديدية ببغداد . . وتبع ذلك هجوم وحشى سافر على المنظمات الحزبية . وغرقت البلاد فى مذابح لا انسانية استفزت شعور كل الناس ، وحملت وزارة العمرى الى السقوط ..

وفى عام ١٩٤٧ جاء نورى السعيد الى الحكم بحجة تهدئة الحال واشاعة العدالة بين الناس . واخذ يفاوض الاحزاب للدخول فى وزارته لاجراء انتخابات « حرة » تقرر سياسة البلاد .

## التجربة :

وكانت فى جعبة نورى السعيد اشياء اخرى لم يظهرها فالانجليز قد ارسلوه للقيام بمهمة ! ..

كانت الحرب قد انتهت منذ عامين . واصبح الاستعمار يفكر فى امرين : مجابهة الضغط الوطنى الذى اخذ يلاحقه فى مناطق نفوذه والتفكير فى انشاء حلقات « دفاع مشترك » تقف ضد الاتحاد السوفييتى .. حليف الحرب .. !

وكان لابد من تسوية جديدة تجمع هذين الامرين .

وبدأ الامريكيون والانجليز يفكرون فى وقت واحد فى مشاريع متشابهة .. كل فى المناطق الواقعة فى متناول يده .

وهكذا بدأ ترومان مشروعاته فى أوربا عام ١٩٤٦ فى نفس الوقت الذى بدات فيه بريطانيا اول تجربتها فى الشرق الاوسط باتفاقية صدقى ــ بيفن ..

وفشلت بريطانيا فى التجربة الاولى ، واحبط الشعب المصرى اتفاقية صدقى ــ بيفن .

ولكن بريطانيا لم تقنط ! .. وراحت تجرى تجربة أخرى فى العراق على يد وكلائها التقليديين .

ومن أجل هذا عاد نورى السعيد الى الحكم ، وأجرى الانتخابات وطبخ نورى جرياعلى عادته القديمة انتخابات قاطعتها الاحزاب وجرى فيها التزييف فى وضح النهار ، وبحراسة البوليس . . . . وخرج منها « برلمان » يستطيع أن يقول للباشا : نعم . . موافق !

وبعد ذلك ترك نورى الوزارة لصالح جبر !

وفى عهد صالح جبر اخذت بريطانيا تجرى التجربة وبدات المفاوضات لتعديل معاهدة ١٩٣٠ .

ومنذ البداية اشترك نورى فى هذه المفاوضات التى كانت تجرى بمعزل عن الراى العام ، وفى خفاء تام . وفى مساء ٣ يناير ١٩٤٨ عقد مؤتمر فى « قصر الرحاب » ضم اصدقاء بريطانيا القدامى ، وعين المؤتمر وفدا للمفاوضة مؤلفا من صالح جبر ونورى السعيد وتوفيق السويدى ، وفاضل الجمالى .

وكان فاضل الجمالى - وزير الخارجية - اذ ذاك فى لندن ، وقد صرح بأن « المعاهدة العراقيةالبريطانية التى وقعتعام ١٩٣٠ قوبلت بكثير من النقد فى العراق ، وكان أكثر الانتقادات التى وجهت اليها راجعة بالطبع الى السياسة الحزبية فى العراق ولا يمت الى الحق بنصيب ( ! ! ) . . . ولكن ليس من شك فى أن المعاهدة لاتخلو من مآخذ اذا توخى المرء عندبحثها استكمال كل نقص . . ولما تقلدفخامة صالح جبرالوزارة الحاضرة كان تعديل المعاهدةالهدف الاول فىبرنامج سياستها الخارجية ، وقد جرت اتصالات بينه وبين الحكومة البريطانية ادت الى موافقتها على تحقيق رغبة الشعب العراقى فى اجراء محادثات لتعديلها » .

والشعب العراقى يعرف مدلول الالفاظ التى يستعملها ساسة مثل الجمالى . لهذا فقد راى فى تصريحه تحديا غريبا له ، واتجاها واضحا لتسوية القضية بليل . فانبرت الصحف تنتقد تصريح الجمالى وتفضح مايبيت للعراق من تمديد اجل الاستعمار .

**الوثبـــة :**

واخذ السخط يظهر . وبدأ الطــلاب يتحركون . وبعــد مؤتمر البلاد بيوم واحد تجمع الطلاب من مختلف الكليــات ، واتجهوا نحو كلية الحقوق ليخرجوا مع طلبتها بمظاهرة سلمية تعلن رأيها فى طريقة تعديل المعاهدة . . غير أن البوليس هاجمهم وهم فى ساحة الكلية قبل الشروع فى المظاهرة . وبدأت الحجارة وطلقات الرصاص تنهال عليهم . . وضرب الطلاب بغلظة . وفى المساء أصدرت الحكومة قرارا بتعطيل الدراسة الى اجل غير مسمى وغلق الاقسام الداخلية للكليات ، وطرد الطلاب منها . وزعمت « أن طلاب كليــة الحقوق يحملون مبــادىء تمنعها القوانين وأن البعض منهم يتركون الدراسة فى كثير من الاحيان ويقومون بمظاهرة لا مبرر لها » .

واحدث سلوك الحكومة نحو طلاب كليــة الحقوق غضــبا لدى الجماهير ، وجابهته الصحف والاحزاب الوطنية بنقــد مر ، وبينت مايحمل من استفزاز للطلاب ، وانتهــاك لحرمة القوانين . وفى اليوم الثانى اضربت الكليات والمدارس العليا معلنة تضامنها مع طلبة كليــة الحقوق . وخرج الطــلاب الى الشوارع يهتفون بســقوط المعاهدة ، وباستقلال العراق ويندون بالوفد الذى الف دون علم الشعب به . وكان صالح جبر قد سافر من بغداد الى الحبانية ـ القاعدة الانجليزية ـ ومن هناك استقل الطائرة الى لندن .

وفى بادىء الامر استجابت الحكومة لبعض المطالب للتهدئة فاطلقت سراح الموقوفين ، وفتحت كلية الحقوق ، فخلد الطلاب الى السكينة

ومضى المتفاوضون فى مفاوضاتهم السرية فى لندن ، وفى يومين اثنين توصلوا الى مشروع معاهدة عرفت بمعــاهدة « بورتسموث » نشرتها الصحف العراقية يوم ١٥ يناير .

**ورأى الشــعب فى المعــاهدة الجــديدة لونا آخر من « الدفاع المشترك » ، وقيودا أشد وطأة من قيود معاهدة ١٩٣٠ .**

فقد اعطت المعاهدة الحق للانجليز فى « ابقاء قوات بريطانية من

مختلف الصنوف . والنزول فى ساحات النزول العراقية دون مقابل . كما وضعت على كاهل العراق التزامات شديدة فى حالة « تهديد عدائى محدق » وخلقت « لجنة دفاع مشترك تقوم بتنسيق شئون الدفاع ، وربطت الجيش العراقى بالجيش الانجليزى . والزمت الوحدات العسكرية العراقية بالتعاون مع الوحدات الانجليزية داخل العراق وخارجه ، وحتمت على العراق أن يمد الجيوش البريطانية بكل ما فى وسعه من تسهيلات فى البر والبحر والجو .... وبكلمة اخرى ربطت المعاهدة الجديدة العراق بمصالح بريطانيا ومغامراتها العسكرية .

وبعد ان نشرت بنود المعاهدة وجهت الصحف والاحزاب أعنف النقد اليها ، وأبانت مافيها من قيود والتزامات ثقيلة . وثار الرأى العام ، وكان الطلاب فى الصفوف الاولى فقرروا الاضراب لمدة ثلاثة أيام اعتبارا من ١٧ يناير ، وأصدروا بيانا استنكروا فيه المعاهدة . وطالبوا الشعب برفضها .

وجرى اضراب الطلاب فى هدوء تام . وفى اليوم الثالث ساروا بمظاهرة سلمية منظمة وطافوا شوارع بغداد . وذهبوا الى بناية مجلس النواب حيث هتف أحد الطلبة بالمجلس :

**« أيها المجلس ...**

**« ان نوابك لم يأتوا اليك بارادة الشعب ، وانما جاء بهم اليك نورى السعيد بانتخابات مزورة .. وانكم أيها النواب لاتمثلون الشعب وان الوزارة التى تمخض عنها مجلسكم وزارة لايعترف بها الشعب »**

وفى المساء اذاع جمال بابان رئيس مجلس النواب بيانا قال فيه ان المظاهرات ستقمع بشدة ، وانه لن يسمح للطلاب بعد اليوم بالتظاهر ، ووجد الطلاب فى بيانه تحديا لهم فقرروا متابعة تظاهرهم .. وفى يوم ٢٠ يناير تظاهر طلاب كلية الشريعة بعمائمهم البيضاء وقفاطينهم الطويلة . فأطلق البوليس عليهم النار ، واستشهد منهم

فريق وجرح آخر . ونقل المصابون الى المستشفى فترك طلاب كلية الطب دروسهم ، وذهبوا الى العنابر لمعالجة الجرحى .

وجاء الطلاب فى اليوم التالى لاستلام جثث الشهداء .. غير أن البوليس طاردهم داخل المستشفى ، واطلق عليهم النار وقتل طالبين هشم الرصاص راس احدهما . فثار الطلاب ودخلوا به الى غرفة عميدكلية الطب ، وعرضوا عليه بشاعة العمل الذى يقوم به البوليس ، فاحتج العميد ومعه كثير من الاطباء على هذا العمل الوحشى ، ونشر احتجاجه فى الصحف .

واندلعت الثورة فى بغداد . وعم الهياج فجمع الوصى رؤساء الوزارات ونائب رئيس مجلس الاعيان ورئيس مجلس النواب وممثلى الاحزاب واصدر بيان رسمي جاء فيه « لقد عرض المجتمعون آراءهم بخصوص مسودة لائحة معاهدة بورتسموث العراقية الانجليزية وقد اجمعت آراؤهم على انها لاتحقق امانى البلاد وليست أداة صالحة لتوطيد دعائم الصداقة بين البلدين ... » ووعد البيان بأن الوصى « سوف لايبرم معاهدة لاتطمن حقوق البلاد وامانيها الوطنية » .

وفى ٢٢ يناير اذاع راديو لندن تصريحا لصالح جبر قال فيه أنه « موقن بأن البرلمان العراقى والشعب سيجدان فى المعاهدة مايحقق الامانى القومية وان بعض العناصر الهدامة من الشيوعيين والنازيين الذين اعتقلتهم عام ١٩٤١ استغلت فرصة غيابى واحدثت القلاقل فى البلاد .. وانى سأعود الى العراق فورا ، واسحق رؤوس العناصر الفوضوية » .

وصرح بيفن فى مجلس العموم بان سياسة بريطانيا تهدف الى انشاء خط للدفاع المشترك يقابل خط الدفاع الاوربى .

وبعد هذه التصريحات اشتد الهياج ، واستعد البوليس للعمل .. فاخذ يصدر منشورات صفراء يصف فيها المعارضين بالهدامين والصهاينة واتباع موسكو .

وعاد الوفد من لندن . وفى المساء اذاع صالح جبر بأن المشاورات قد جرت منذ شهر مايو ، ومدح المعاهدة ، وطلب الى الشعب الخلود

الى السكينة .. وفى صبيحة اليوم التالى فوجىء النـاس بالبوليس يحتل مفارق الطرق والساحات العامة وسطوح العمارات . وامتلأت السيارات بذوى الخوذ الفـولاذية .. وكان كل شىء مهيأ لقمع كل معارضة بالنار . غير أن الشعب سخر من هذه الاستحكامات ، ومنذ الصباح خرجت المظاهرات هاتفة بسـقوط الوزارة والمعـاهدة التى جاءت بها .. وبدأ الرصاص يزمجر ، وامتلأت سماء بغداد بالدخان وكأنها فى ساحة حرب . وفى ذلك اليوم حاولت مظاهرتان عبور الجسر احداهما قادمة من جانب الكرخ والثانية قادمة من الرصافة فحاصرهما البوليس وامطرهما نارا حامية .. ومع ذلك فقـد كان المتظاهرون على الجسر يتقدمون بصفوف متراصة غير عابئين بالرصاص . وقد ابدت المراة العراقية فى تلك الموقعة بطولة رائعة .. ووقفت الى جانب الرجل وصدرها للرصاص متقحمة خطوط النار .. وسقطت عـلى الجسر « دانوكة » اول شهيدة عراقية كما سقط جعفر الجواهرى وقيس الالوسى .

وحصلت فى ذلك اليوم مذابح بشعة .. فاستقال وزيران من وزراء صالح جبر كما استقال رئيس مجلس النواب وبعض النواب : فاضطر صـالح جبر الى الاستقالة .. وأذاع الوصى نبـأ الاستقالة بنفسـه ... وباستقالة صالح جبر شـيعت جنازة المحاولة الثانية للدفاع المشترك .

## بعـد الوثبـة :

واتت الوثبة ثمارا وطنية ، واستطاع الشـعب العراقى أن يملى بالدم ارادته ، ويخرج من المعركة مرفوع الراس ، ولمت القوى الوطنية شملها ، وتحطمت آمال الاستعمار ، واخـذ يؤجل مشـاريعه وسلم للشعب بعض حقوقه الديموقراطية . واعقب الوثبة عهد قصير للتهدئة انتهى باعلان الاحكام العرفيـة فى ١٥ مارس ١٩٤٨ بحجـة حمـاية « الجيش العراقى المحـارب فى فلسـطين » فتعطلت القوانين وساد

الجو ارهاب مقيت . وجاءت بعد حكومة محمد الصدر حكومة مزاحم الباجه‌جي التي شنت حربا صارمة ضد العناصر الوطنية فاغلقت الصحف ، واضطرت بعض الاحزاب الى توقيف نشاطها ، وقدمت الى المجالس العرفية مئات من الوطنيين الذين لعبوا دورا مجيدا في الوثبة ، وأعلنوا سخطهم على مشاريع الاستعمار ، ثم جاءت حكومة نوري السعيد في أواخر عام ١٩٤٩ وكان نوري السعيد ربان معاهدة بورتسموث وفارسها المقنع . فقد كان الرئيس الفعلي لوفد المفاوضة وأكثر السياسيين تحمسا لها . فلا غرو أن يعتبر فشلها هزيمة له . وفي حكومته امسك بسوط الانتقام ، وشن هجوما وحشيا ضد العناصر الوطنية وامتلات السجون والمعتقلات بالعمال والطلاب والمحامين والفلاحين ، ونصبت المشانق ، وصودرت بقايا الحريات الديموقراطية التي اضطرت الطبقة الحاكمة الى السماح بها بعد الوثبة . وساد جو هستيري فظ .

وفي عهد نوري السعيد بدأ الاستعماريون يفكرون من جديد في صور أخرى للدفاع المشترك ناسين تجارب الماضي ، فأعلنت الدول الاستعمارية الثلاث بيانها الثلاثي في ٢٥ مايو ١٩٥٠ وبينت فيه انها ستتخذ تدابير لازمة داخل منظمة هيئة الامم المتحدة وخارجها للحيلولة دون استعمال العنف والقوة بين دول منطقة الشرق الاوسط ، وفي ٢٥ اكتوبر ١٩٥١ قدمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا مشروع تاليف « منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط » بعد أن رفضت مصر فكرة الدفاع المشترك . والمقصود به أن تتألف في الشرق الاوسط قيادة « للجهود التعاونية للدفاع عن المنطقة برمتها وتحقيق السلام والامن فيها بواسطة هذه القيادة » .

غير أن المشروع جوبه بمعارضة قوية ، وفشل فشلا ذريعا

وفي العراق تردت أحوال الحكم في ظل الحملات الانتقامية ترديا شاملا ، وانتهكت حرمة القوانين ، وتفشى الفساد ، وسار القضاء وراء رغبات المستوزرين ، وتلاعب الموظفون بأجهزة الدولة واستهانوا بأرواح الناس ، وساد حكم البوليس .. وكانت الطبقة الحاكمة قد

دابت على الحكم الارهابى ، واستعمال الرصاص لتغطية حكمها المتعفن !
**وخلال أربعين عاما من الحكم فى رعاية الاستعمار أخذت هذه الطبقة تجمع تحت كسائها الاقطاعيين ووكلاء المصالح الاستعمارية ، والمحتكرين والعملاء المزمنين للاستعمار ورؤساء الاجهزة القمعية التى نمت خلال تاريخ طويل من الاستعمار المقنع وكل الذين تشتبك مصالحهم بالاستعمار .**

وفى عام ١٩٥٥ كانت حملات الانتقام ماتزال مستمرة وكانت الطبقة الحاكمة فى دور الهجوم على القوى الوطنية مستهترة بكل القوانين والانظمة حتى عم التذمر بين الناس . وساد الاضطراب فانتهزت الاحزاب الوطنية فرصة عودة الملك من لندن وقدمت الى الوصى مذكرات تشرح له حقيقة الحال . وتسرد مظاهر التفسخ فى اجهزة الدولة ، وأسباب تذمر الناس ، وتطالبه بوضع حد للفساد والاستماع الى صوت الشعب الساخط المطالب باصلاح جذرى .

وكان الشعب العراقى يطالب بالغاء معاهدة ١٩٣٠ واطلاق الحريات الديموقراطية . والعمل بالدستور . واحترام القضاء وفصله عن كل نفوذ للسلطة التنفيذية . وتوزيع الاراضى على الفلاحين . وتحسين مستوى حياة الناس . واطلاق سراح المعتقلين والمسجونين بالاحكام العرفية .

وقد عبرت المذكرات بنسب متفاوتة عن هذه المطالب . غير أن رئيس الديوان الملكى رد على رؤساء الاحزاب منكرا وجود الفساد فى الدولة ومتنصلا من المسئولية . وفى ٣ أكتوبر ١٩٥٢ انعقد مؤتمر فى البلاط حضره رؤساء الاحزاب وبعض رؤساء الوزارات . وتحدث الوصى فيه حديثا صارما ، واتهم بعض رؤساء الاحزاب بتهم كبيرة . . وانتهى المؤتمر بمشاجرات وسباب اهين فيه رئيس حزب الجبهة الشعبية طه الهاشمى فخرج قبل انتهاء المؤتمر محتجا ، وخرج كامل الجادرجى تضامنا معه .

ولم يسفر مؤتمر البلاط عن شىء .

وبقيت الحال السيئة دون تغيير .
ولم يمض على ذلك اسبوعان حتى انفجر العراق مرة اخرى ..
وحدثت انتفاضة تشرين ..

## الانتفـاضة :

واندلعت انتفاضة تشرين ( اكتوبر ) من سبب يبدو غير ذى بال اذا قورن بما يضاهيه او يتفوق عليه من اسباب الاستفزاز .

فى بداية شهر اكتوبر استطاع طلاب كلية الصيدلة والكيمياء ان ينالوا مطلبهم فى الغاء قانون تعسفى اريد فرضه على الطلاب .. وكان هذا النجاح بمثابة اندحار لاولئك الذين درجوا على الاستهتار بآراء الطلاب .. فدبر عميد كلية الصيدلة امرا للانتقام من الطلبـة واتفق مع بعض الناس للنيل من البارزين من الطلاب . فاعتدى هؤلاء على اربعة من طلاب الكلية بالضرب ، وجرحوا اثنين منهم بالخناجر فدخلا المستشفى . فاستفز هذا الحادث شعور الطلاب لاسيما حين اخذت الحكومة تدافع عن موظفيها ، وتتهم الطلاب بشر التهم .

وفى اليوم الثـانى اضرب طلاب الكليات ، وخرجوا فى مظاهرة اصطدمت بالبوليس الذين جابهوا المتظاهرين على عادتهم باطلاق النار فاضطر الطلاب الى الاعتصام فى كلية الآداب . وفى اليوم الثالث خرجت مظاهرة اخرى ، واتجهت الى « الفضل » المنطقة الشعبية المشـهورة بثوريتها فقوبل المتظاهرون بالرصاص كذلك .

واخذت بغداد تغلى كالمرجل .. وبدا النـاس يتظاهرون معلنين استنكارهم للعنف البربرى .. وفى الثـالث استطاع المتظاهرون أن يتغلبوا على مقاومة البوليس ، ويجبروهم على ترك الشوارع لهـم ، فأحرقوا مكتب الاستعلامات الامريكى ، ومكاتب جـريدة « عـراق تايمس » الانجليزية ، ومقر حزب « الاتحاد الدستورى » حزب نورى السعيد .

وكان المتظاهرون وحدهم فى الشـوارع يطالبون بحكومـة ديمقراطية ، وبالغاء معاهدة ١٩٣٠ ، وبتعديل قانون الانتخابات ..

وما الى ذلك من المطالب التى تبنتها مذكرات الاحزاب .

واضطر مصطفى العمرى ان يقدم استقالته .. فأسندت الوزارة الى جميل المدفعى الذى قيل عنه انه « رجل الازمات » غير انه لم يستطع تأليف الوزارة فاستقال فى اليوم ذاته .

وفى ضحى يوم الاحد ٢٢ اكتوبر راى الناس سيارات الجيش العراقى تنزل الى الشوارع ، ويأخذ جنوده اماكن البوليس المنهزم .. وسمع الناس فى ظهر ذلك اليوم بيانا من رئيس اركان الجيش يعلن بأن الوصى قد اسند رئاسة الوزارة اليه . وان الجيش سيقمع المتظاهرين بالقوة .

واعلن منع التجول ابتداء من الساعة السادسة مساء .. غير ان المتظاهرين ارتقوا ظهور السيارات العسكرية وأعلنوا من فوقها مطالبهم .. وهتفوا بحياة الجيش .

وكان الوضع حرجا جدا بالنسبة لاولئك الذين حاولوا وضع الجيش العراقى ضد الشعب ..

**صحيح أنهم حاولوا منذ عام ١٩٤١ أن يقصوا كل العناصر الوطنية منه ... ولكنهم غير مطمئنين الى أنهم استطاعوا ان يجعلوه يطلق النار ... على أبناء وطنه .**

ولم تجر فى ذلك الحين حادثة اطلاق نار من قبل الجيش . واعدت مديرية التحقيقات الجنائية قوائم بأسماء الذين يشتبه فى أمر قيامهم بالتظاهر . وفى ظلام الليل . والتجول ممنوع أخذ البوليس يعتقل هؤلاء ..

وامتلأ معتقل أبى غريب برجال الاحزاب والمحامين والسياسيين ككامل الجادرجى وحسين جميل وفائق السامرائى والشاعر محمد مهدى الجواهرى وصديق شنشل وتوفيق منير وكثير من الطلاب والمثقفين والتجار والعمال .. كما عبئت عنابر معسكر الرشيد بمئات آخرين .

واستطاعت الطبقة الحاكمة بهذه الطريقة ان تسيطر على الموقف

## بعد الانتفاضة :

وحين هدأت الحال بدأت المجالس العرفية تستقبل المتهمين بالوطنية . واذاع رئيس الوزراء ورئيس اركان الجيش أن الجهات العليا قد رضيت بتعديل قانون الانتخاب ... وجعلته انتخابا ذا درجة واحدة .. كما اخذ يهتم بطعام الشعب بتسعيره « التفاح الامريكاني » وبعض فواكه القصور . واخذ راديو بغداد يذيع بعض البرقيات عن التأييد لهذا الاتجاه المشكور ! !

ثم أعلن عن انتخابات جديدة على القانون الجديد .. وجرت اعجب انتخابات في ظل الاحكام العرفية ، ورجال الاحزاب ومئات الوطنيين في السجون والمعتقلات فقاطع الناس الانتخابات ، وجاء اكثر من ثلثي المجلس بالتزكية .. وظفر نوري السعيد بأغلبية ساحقة ! ! وكان المتظاهرون في الانتفاضة يهتفون ضده ، ويفضحون دوره الانتقامي .. فاستطاع في ظل هذه الاغلبية الساحقة ان يقول : « ان الذين هتفوا ضده شيوعيون .. واتباع موسكو ! »

وبانتهاء الانتخابات النيابية انتهت مهمة نور الدين محمود .

وجاءت وزارة المدفعي تضم اخطر الرؤوس الرجعية في العراق .. أولئك الذين كانت حقائبهم أيام الانتفاضة في المطار استعدادا للهروب من غضب الشعب . ومع أن نوري السعيد كان وزيرا للدفاع فقد كان المحرك الرئيسي للوزارة . وكانت له اغلبية برلمانية من شيوخ الاقطاع يتيه بها غرورا ، والحقد على الشعب الذي هتف بسقوطه يملأ قلبه . والاحكام العرفية تحرس استهتاره وجبروته .

وكان كل رأس في الوزارة تملؤه رغبة الكسب الحرام ، وفي أسرع وقت ممكن حتى يطمئن لمستقبله المالي حين تحدث انتفاضة أخرى ويطرد من العراق .

وفي تلك الوزارة حدثت اكثر من فضيحة اخذ بها الرؤوس الرشوة من الشركات الاجنبية التي كانت تعمل في العراق ...

فنائب رئيس الوزارة يتقاضى ( ١٠ ) آلاف جنيه في شركة اخذت

على عاتقها بناء جسرين فى بغداد . ووزير آخر يستدعى السفير الامريكى ويطلب منه ان يعطى لابنه وكالة بيع سجائر « الكامل » فى العراق ، وثالث يرفع الضرائب على « العرق » المشروب الكحولى الوطنى لانه مساهم كبير فى شركة انتاج البيرة .. وهكذا دواليك .

وكان فى العراق « مجلس للاعمار » انشأه الانجليز عام ١٩٥٠ فى نفس الوقت الذى اخذوا يفكرون فيه فى قيادة الشرق الاوسط وكانوا يرون العراق مهملا وغير صالح من الوجهة العسكرية للقيام بالحرب الهجومية التى يريدون شنها . فالطرق مهملة . والمطارات لاتصلح لنزول الطائرات الكبيرة . والجسور منهالكة وقليلة .. فلا بد من اعداد العراق اعدادا عسكريا ببناء مبان تصلح لايواء الجنود . واعداد الطرق والجسور على نحو يسهل المهمات العسكرية .

وقد بدأ المستشارون الانجليز يخططون للعراق « مشاريع للاعمار » فى نفس الوقت الذى اضطروا فيه ان يزيدوا عوائد النفط بسبب زيادة الكميات المستخرجة . وقد اصبح للعراق مال وفير يمكن ان يفيد منه الانجليز وسماسرتهم .. يمكن ان يستفيد الانجليز باعداد العراق عسكريا لمغامراتهم . وباسناد اكثر المقاولات الانشائية الى شركات انجليزية تملك امتيازات ضخمة .. ويمكن أن يستفيد سماسرة الانجليز بالرشاوى التى يتقاضونها من الشركات وبالسطو والتلاعب فى الحسابات .

وهكذا باشر مجلس الاعمار أعماله فخصص للطرق والجسور حتى عام ١٩٥٩ ( ٧٤ر٥٦٦ر٠٠٠ ) جنيه وخصص للمبانى ( ٦٠ر٩٦٨ ) جنيه .. وخصص للسكك الحديدية التى يهيمن عليها الانجليز ( ١٥ر٥٠٠ر٠٠٠ ) جنيه ، وخصص للمطارات خمسة ملايين جنيه . وخصص ربع مليون جنيه لبناء سجن فى ابى غريب .

**وكانت الفترة التى اعقبت الانتفاضة عهدا نموذجيا بالنسبة للذين يملؤون خزائنهم بالمال الحرام . فالرقابة معدومة ، والقوانين معطلة ، وكل من يرفع صوته تتلاقفه المجالس العرفية .. ومجلس**

**الاعمار يعطى مقاولاته للشركات الانجليزية .. ولشركات اخرى تغدق المال على المختصين بعقد الصفقات الرابحة .**

وقضى العراق اكثر من سنة تحت رحمة الاحكام العرفية وكانت المجالس العرفية تعمل بانتظام ، وتزج بالمواطنين فى المنافى والمعتقلات والسجون ، والصحف الوطنية معطلة ، والاحزاب مغلقة ، والحكام لم ينطفىء بعد غليل الانتقام من صدورهم .

وفى عهد وزارة الرؤوس الرجعية حدثت مذبحتان فى سجون العراق احداهما فى سجن بغداد المركزى والاخرى فى سجن الكوت .

وبعد أن قضت وزارة المدفعى ـ السعيد أكثر من عام فى الحكم بلغ التوتر اقصاه ، واصبح الوضع موشكا على انفجار جديد .. ولم تعد المجالس العرفية قادرة على كبح تذمر الناس ومطالبتهم باصلاح جذرى للاوضاع الفاسدة . وفقد الحكم البوليسى نفسه هيبته ، وتهرأ ، واصبح الناس لا يخشون سطوته . فكيف تحفظ الطبقة الحاكمة هيبتها ؟!

**محاولة أخرى للاحلاف :**

وفى تلك الاثناء قام دلاس برحلته المشهورة الى الشرق الاوسط فى ربيع ١٩٥٣ فزار مصر واسرائيل والاردن وسوريا ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية . وكان دلاس يحمل « صورة » أخرى للدفاع المشترك ، وقد اوضح دلاس خطته بعد سنتين من زيارته قائلا : « **ان ثمة مشكلة كانت تشغل افكار الزعماء فى الشرق الاوسط وهى امن تلك المنطقة ، فكان من الواضح أن الدفاع الفعال يعتمد على اجراءات جماعية ، وان مثل هذه الاجراءات ، كيما يصح الاعتماد عليها ، لابد من ان تكون عن طريق تكاتف طبيعى من قبل أولئك الذين يشعرون بمصير مشترك امام ما قد يسمى خطرا مشتركا ..** »

وفى سبيل اجراء محاولة جديدة للاحلاف ، وبالنظر لوضع الحكام العراقيين المزرى الخائر القوى ، فكر المستعمرون فى أن يأتوا

« بطاقم جديد » من الحكام ليس له تاريخ كبير فى القمع ليقوم بهـذه المحاولة ..

وهكذا جاء فاضل الجمالى الى الحكم فى صيف ١٩٥٣ .

والجمالى منذ ان اصبح فى عداد المستوزرين – كما يقول الاستاذ كامل الجادرجى – ساهم مساهمة لا تنكر فى الحكم الارهابى لارشـد العمرى ، وكان وزيرا لخارجية صالح جبر الذى حاول فرض معاهدة بورتسموث ، وكان وزيرا احتياطيا لنورى السعيد ، ووزيرا فى وزارة نور الدين محمود رئيس اركان حرب الجيش . كما كان شـغوفا بأسلوب الحياة الامريكية ، وبمشاريع سياستها ، معجبا بطريقتهم فى خلق التوتر العـالمى ، وتخويف الناس ببعبع الشـيوعية ..

ومن اجل هذه الصفات كلها جاء الجمالى الى الحـكم مع زمرة من الشبان قالوا عشية توليهم الحكم انهم ابناء مدرسة جديدة تخالف المدرسة القديمة فى الراى ، وان لهم منهاجا كبيرا للاصلاح يريدون تحقيقه ..

غير ان لمجىء الجمالى مغزى آخر لا علاقة له بالمدارس القديمـة والحديثة . فقد كان مجيئه انتصارا للنفوذ الامريكى ، وللسياسـة الامريكية الداعية لاحلاف ثنائية هذه المرة .

وقوبل مجىء الجمالى بعدم رضى من اعمدة الاستعمار الانجليزى فى العراق . وكان نورى السعيد اثناء تأليف وزارة الجمالى فى لندن فصرح بأنه لا يدرى شيئا عن مجىء الجمالى وانه لم يستشر فى مجيئه وراى الامريكيون فى مجىء الجمالى ثمرة طيبة لزيارة دالاس ، ونصرا لقضية الاحلاف التى يسعون اليها .

ومنذ البداية اتبع الجمالى الخطة الامريكية فى الحكم . فأطلق بعض الحريات الديمقراطية ، وفتح البلاد لخبراء النقطة الرابعـة ، وفلبرايت ، واستقدم اساتذة امريكيين اعطاهم منـاصب عالية فى وزارة المعارف ، واطلق لهم الحرية فى تدريس ما يشاؤون من نمط الحياة الامريكية ، وثقافة الحرب ، والتمييز العنصرى . وكان هؤلاء

يشتمون من منصات التدريس الشعوب غير الامريكية ، ويشوهون تاريخها ويروجون للحضارة الامريكية ، والتفـكير الامريكى ، الذى تحتضنه الاحتكارات ، وزبانية « العالم الحر » من امثال مكارثى .

وبالاضـافة الى ذلك كان « الخبراء »الامريكيون يتسللون الى وزارة الاقتصاد ، ويهيمنون على المشاريع الحيوية ، ويخططون العراق بغية تهيئته لحرب قادمة يحضرون لها .

واخذ الجمالى يروج للمشاريع الامريكية . وقبل المساعـدات العسكرية الامريكية التى ربطت العراق بميثاق الامن المتبادل الامريكى واخذ يتقرب الى الباكستان .. وكان كل شىء معدا لادخال العراق فى أحد المشاريع الحربية الامريكية .

وفى ٢ ابريل استطاعت الولايات المتحدة ان تنجح فى صنع أول حلقة من سلسلة أحلافها العسكرية بعقد ميثاق عسكرى بين تركيا والباكستان .

واخذت الاستعدادات تجرى لادخال العراق فيه . او عقـد حلف ثنائى بينه وبين الباكستان التى زارها ملك العراق وولى العهد وجرى تفاهم كبير بهذا الخصوص .

غير أن الجمالى جوبه بمعارضة شديدة وبحملة واسعة النطاق من جميع الاحزاب والاوساط الشعبية وقوى السلم التى تنبهت الى خطر السياسة التى يتبعها . وبالرغم من الاساليب المكارثية التى كان يتبعها الجمالى ، ومن حملات التضليل ، والنيل من العناصر الوطنية واعداء المحالفات العسكرية توالت عرائض الاحتجاج من مختلف انحاء العراق ، وانهالت على الصحف الوطنية تحمل تواقيع عشرات الالاف من المواطنين .

وفى منتصف عام ١٩٥٤ كانت كل الدلائل تشير الى ان الجمالى فشل فى فرض الاحلاف ، وتحقيق البرنامج الذى اخذ على عاتقـه تنفيذه . وكان الوضع فى داخل العراق يتطور فى غير صالح الاحلاف ،

فخلف شعار محاربة الاحلاف العسكرية استيقظت قوى الشعب . وتجمعت فى جبهة وطنية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العراق .

واتجهت نية الطبقة الحاكمة الى تنحيـــة الجمالى عن الحكم . واجراء انتخابات جديدة يستعاض فيها عن مجلس النواب القديم بآخر جديد . وكان المجلس النيابى القديم الذى اجرى « انتخاباته » رئيس اركان الجيش قد جابه نقدا لاذعا من جانب كل الناس.وأصبح موضع سخرية مريرة . ولم يعد يركن اليه فى امر ذى بال .

وهكذا حل المجلس النيابى وجاء أرشـــد العمرى فى مايو ١٩٥٤ لاجراء انتخابات جديدة .

**واستطاعت القوى الوطنية ـ رغم الارهاب ومصادرة الحريات الديمقراطية ـ أن تؤلف جبهة وطنية من الحزب الوطنى الديمقراطى وحزب الاستقلال وممثلين عن العمال والفلاحين والمحامين والشباب وتوصلت هذه الجبهة الى ميثـــاق وطنى من نقـــاط ثمان ، دخلت الانتخابات بموجبها :**

**وكان من بين هذه النقاط :**

**١ ـ الغاء معاهدة ١٩٣٠ التى فرضها نورى السعيد على الشـــعب العراقى**

**٢ ـ اطلاق الحريات الديمقراطية ، كحرية النشر والاجتماع وابداء الرأى وتنظيم الجمعيات .**

**٣ ـ الحـــد من الاقطاع ومساعـــدة الفلاحين فى انشاء جمعيـــات تعاونية .**

**٤ ـ تطبيق قانون العمال رقم ٧٢ لعام ١٩٣٦ واعطائهم حق انشاء نقابات خاصة بهم .**

**٥ ـ الابتعاد عن الاحلاف العسكرية وتاييد حل المشاكل الدوليـــة بالطرق السلمية .**

**٦ ــ حل قضية فلسطين بمعزل عن الاستعمار .**
**٧ ــ السعي لتوثيق العلاقات الاخوية بين البلدان العربية .**

وجرت الانتخابات فى جو كثيف من الارهاب ، وتدخل البوليس فيها على نطاق واسع .. ومع ذلك فقد استطاعت الجبهة الوطنية ان تفوز بـ « ١٢ » نائبا وهم :

كامل الجادرجى وحسين جميل ومحمد حديد وجعفر البدر وحذورى حذورى وذو النون ايوب ومسعود محمد وصديق شنشل ومحمد مهدى كبة ونجيب الصايغ وعبد الجبار الجومرد .

وافزعت هذه النتيجة قلوب الطبقة الحاكمة ، وزعزعت كل آمالهم فى امرار المشاريع الاستعمارية من هذا المجلس . ولم تستطع مجابهته . فبعد حفلة الافتتاح اجل اجتماع المجلس .. وجوبه الناس بمجيء نورى السعيد بحجة انه زعيم « الاغلبية البرلمانية » !!

* * *

الفصل الثالث

# مظاهر الحكم الأسود فى العراق

لم ير العراق طوال ما يسمى « بالحكم الوطنى » أى استقلال صحيح عن النفوذ الاستعمارى ، فقد كان يرزح دائما تحت شكل من اشكال الهيمنة الاستعمارية ، وكان تحديد هذا « الشكل » مرتبطا بمقدار مافى الحركة الوطنية من قوة او ضعف . وبظروف الاستعمار العالمى ذاته .

وفى البداية استطاع الاستعمار البريطانى ان يهيىء للعراق معاهدة انتداب ، ودستورا ارتضاه هو وجعله لا يخالف صك الانتداب . . ثم مجلسا تأسيسيا جمع على نحو يكفل للاستعمار البريطانى فرض نفسه على العراق بصورة شرعية .

وكانت مهمة المندوب السامى فى السنوات العشر الاولى من الحكم الوطنى تنحصر فى امرين : تثبيت الاستعمار البريطانى وتقنينه بواسطة معاهدات واتفاقيات خاصة وقوانين — واختيار حكام يساعدونه على انجاز هذه المهمة ، ويعاهدونه على صيانتها من الضغط الشعبى .

غير أن الاستعمار رغم كل الضمانات التى صنعها لنفسه لم يجد لحظة راحة . وكانت الحركات الوطنية تشق طريقها وسط جو متلبد مكفهر ، وتفرض ارادتها على المستعمرين واعوانهم ، فيضطر هؤلاء الى مراعاة قوة هذه الحركة ، ويستبدلون الشكل القديم لنفوذهم

ومع أن العراق قد نال « استقلاله » الاسمي بدخوله عصبة الامم بعد توقيع معاهدة ١٩٣٠ بنحو عامين فقد ظل هذا « الاستقلال » مرتبطا بالتزامات صارمة . وظل السفير البريطانى « الحاكم بأمر العراق » يستشار فى كل امر ، وتفرض كلمته على كل وزارة . وكانت اعوام الانقلابات واضطرابات الجنوب ، وثورات الاقليات فى العراق

جعلت الاستعمار البريطاني يعيد النظر في الدستور الذي صنعه بنفسه ويحدد بقوانين شديدة ، ويتجه الى تشجيع « الطبقة الحاكمة » على استعمال العنف للقضاء على الحركة الوطنية ، وعلى كل انتفاضة ضد الحكم الاستعماري .

وقد قال تشرشل ذات مرة « اننا استطعنا أن نحكم العراق خلال خمسة وثلاثين عاما دون حاجة الى احتلال » .. وكان هذا الحكم يتم بواسطة ربط العراق بالتزامات شديدة مع مصالح الاستعمار البريطاني وبرعاية طبقة حاكمة ترعى هذه الالتزامات ، وتلبس لكل حالة لبوسها ... وخلال « الحكم الوطني » شهد العراق تغيرات أساسية في بنيان المجتمع ، كما شهد العالم تبدلات أساسية في وضع الاستعمار العالمي نفسه في حين ظلت عقلية الحكام العراقيين بلا تغير كبير .

في العراق اخذ المجتمع يعاني تغيرات في تكوينه الطبقي .. لقد كانت في عهد الانتداب طبقة اقطاعية ضخمة ، وفلاحون يعيشون في اقطاعياتهم حياة شبيهة بالعبودية ، كما كان في العراق حرفيون قليلون ، وتجار يشتغلون بتجارة بسيطة ، وعمال لا يتجاوز عددهم « ١٥ » ألف عامل اغلبهم يشتغلون كمستخدمين في دوائر الحكومة .

وخلال خمسة وثلاثين عاما من الهيمنة الاستعمارية ، ورغم كل الظروف « المعيقة » استطاعت البورجوازية الوطنية أن تنهض ، وتنشيء بعض الصناعات ، وتتبلور كطبقة لها مفهومها الخاص ، ونظرتها المعينة الى قضايا الاستقلال الوطني والاستعمار . وفي أوقات الارتخاء النسبي للحكم الدكتاتوري في العراق ، استطاعت هذه الطبقة أن تعبر عن مفاهيمها ببرامج الاحزاب التي انشأتها والتفت حولها .

وبالاضافة الى ذلك – أو تبعا لذلك – نشأت في العراق خلال هذه المدة ذاتها طبقة عاملة نمت حول حقول البترول ، وفي مشاريع الصناعة الوطنية .. وخلال الاعوام العشرين الاخيرة استطاعت هذه الطبقة ان تتجمع حول نقاباتها التي أجيزت لاول مرة عام ١٩٣٤ . وسرعان مااستطاعت هذه الطبقة الفتية أن تشارك مشاركة فعالة في الحركة الوطنية ، وان يكون لها معاركها الخاصة لانتزاع حقوقها النقابية ، وتحسين ظروف حياتها .. وثمة امثلة كثيرة على ذلك :

ففى عام ١٩٤٦ اضرب عمال البترول فى كركوك اضرابا شاملا من اجل مطالب اقتصادية قمع فى النهاية بقوة السلاح . وحصلت مذبحة « كادر باغى » . وفى العام ذاته حصلت استفزازات الحكومة ضد نقابة عمال السكك الحديدية . وخاض العمال كفاحا بطوليا من اجل الاحتفاظ بها . وفى عام ١٩٥٣ حصل اضراب كبير لعمال السجاير فى بغداد ، وبعده بعام تقريبا اضرب عمال البترول فى البصرة اضرابا واسعا وقفت حكومة الجمالى فيه بجانب شركة البترول الانجليزية . كما حصلت اضرابات عمالية اخرى مشهورة فى بغداد والموصل .

وفضلا عن ذلك اخذ الاقطاع بالتهرؤ والضعف . ولم يعد لمشيخته سلطانهم السابق بعد أن امتد الوعى الى الريف . واخذ الفلاحون العراقيون يناضلون **نضالا منظما** من اجل الارض . واستطاع فلاحو الفرات الاوسط أن يجبروا الاقطاعيين على اقتسام الحاصل مناصفة وبعد حصولهم على هـذا الحق اخذ كفاحهم يصطبغ بالصبغة السياسية ، ويتعدى حدود قضايا الارض والماء الى قضايا الاستقلال الوطنى . وما زال فلاحو العمارة ـ المنطقة الاقطاعية الكبرى ـ يناضلون من اجل كسب حقهم فى المناصفة.. واخذ الاقطاع يتهاوى باستمرار بالرغم من معاضدة الحكومات العراقية المتعاقبة لها . وعملها على تقوية دعائمه ، ومده بأرض جديدة . حتى كثرت فى الاعوام الاخيرة حوادث هروب الشيوخ من اقطاعياتهم والتجائهم الى بغداد . كما كثر تدخل البوليس لقمع حركات الفلاحين المتعاظمة يوما بعد يوم .

هذا ما حصل داخل العراق .

اما بالنسبة لوضع الاستعمار العالمى : فان خمسا وثلاثين سنة قد استطاعت ان تزعزع كيانه ، وتعمق التناقضات فى داخله : وتزيد من حدة الكفاح الوطنى الذى يلاقيه فى مستعمراته . ومناطق نفوذه .. وبدا ظله الاسود يتقلص عن مناطق شاسعة كالهند وبورما والصين واندونيسيا ، عاش من مواردها عشرات السنين . وآل الامر بعد الحرب العالمية الثانية الى تحرر « ١٢٠٠ » مليون نسمة من النير

الاستعمارى ؛ والى ميلاد جبهة شعوب مستقلة واسعة تقف ضد الاستعمار ومشاريعه ، وتعمل للاحتفاظ باستقلالها ، وصيانة السلام العالمى . كما تألق فى الوقت ذاته مجد المعسكر الاشتراكى ، وتثبيت دعائمه على نحو غير قابل للزحزحة . واصبح هذا المعسكر الصديق الوفى لجميع الحركات التحررية ، والمعين الصادق لكل الشعوب المكافحة ضد الاستعمار . ولم يعان الاستعمار من هذا فحسب ، بل عانى كذلك من الثورات المتلاحقة فى البلاد المتبقية تحت نفوذه . . . وتجمعت كل هذه العوامل مع الازمات المتتالية التي يكابدها الاستعمار فى الداخل لحمله على أن ينشىء فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة أشد اشكال الدكتاتوريات فظاظة ، واكثرها استهتارا بالقيم الانسانية للاحتفاظ ببقايا نفوذه . . . وذلك مايمكن ملاحظته فى العراق خلال السنين الاخيرة على وجه الخصوص (١)

وخلال تاريخ يمتد اكثر من خمس وثلاثين سنة فى صحبة الاستعمار البريطانى أصبح للحكام الذين تسلموا الحكم منذ اكثر من ربع قرن تقاليدهم فى الحكم الرجعى ، وتربت معهم أجهزتهم القمعية وسننهم المعروفة فى التلاعب بالدستور وأساليبهم الخاصة فى تشتيت الحركة الوطنية ، ومناوراتهم المتوارثة ومخاتلاتهم ، وتراثهم فى الاستهتار والعبث بمصائر الناس ، وخرق القوانين التى صنعوها بأنفسهم . واستقام لهم حكم أسود ذو تاريخ طويل .

وكل شيء أشرف الاستعمار البريطانى فى صنعه للعراق ، وجعله حصنا لمصالحه ، ودرعا تتقى به « الطبقة الحاكمة » غضب الشعب .

---

(١) يلاحظ السياسى العراقى الكبير الاستاذ عزيز شريف فى كتابه «من حلف بغداد الى تحرير القنال » : انه « من الخطأ الظن بأن السياسة الارهابية ــ الاستعمارية القائمة فى العراق من صنع فرد او زمرة من السياسيين البارزين على المسرح الحكومى ففى هذا الظن اغفال لدور الاستعمار البريطانى الحاسم .

« ينبغى أن لا ننسى التطور الاجتماعى والتبلور الطبقى الذى وقع فى العراق خلال الاربعين عاما منذ الغزو البريطانى ، والتغيرات النسبية التى حدثت لوضع الاستعمار فى العراق ، وذلك محصل للوضع العالمى ، والوضع العراقى ، ولظهور طبقة حاكمة مشتبكة المصالح مع الاستعمار » ص ١٧

والدستور الذى يعتبر ركن الزاوية فى كل حكم ديمقراطى أعدته وزارة المستعمرات ـ كما قلت فى فصل سابق ـ وجعلته **« لا يحتوى على ما يخالف نصوص أول معـاهدة للانتداب فى العراق »** . ومع ان المندوب السامى فى حفلة تتويج الملك فيصل قال « ان مجلس الوزراء العراقى قرر باتفاق الاراء المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق ... على ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بقانون » فقد ظلت هذه « الحكومة الدستورية » تحت رعاية الانجليز الذين اصبحوا يضيقون بالدستور الذى صنعوه . ويمسخون اغلب ما جاء فيه من حقوق المواطنين .

وابتداء من عام ١٩٣٥ أخذت « الطبقة الحاكمة » فى العـــراق تصدر المراسيم لتقييد الدستور ، لتذهب كل سمة ديمقراطيـــة منه . وهكذا اصدر فى ١٩٣٥ مرسوم الادارة العرفية واصـــدرت فى عام ١٩٣٨ مرسوم منع الدعايات المضرة الذى اعطى للسلطة التنفيذية حق منع اى شخص من الاقامة فى مكان أو امكنة داخل العراق واعتباره تحت مراقبة الشرطة ، واصدرت فى عام ١٩٤٠ مرســوم صـــيانة الامن وسلامة الدولة منح فيــه وزير الداخليـــة حق القبض على الاشخاص وحجزهم فى اماكن تعينها الحكومة وتفتيش المنازل واخلاء بعض الجهات من السكان ، ومنع أو تقييد المواصلات . وبعـد حركة رشيد عالى عدل الدستور تعديلا أساسيا على نحو اعطى فيه للملك حق اقالة الوزارة ، وجعل قرارات مجلس الوزراء مرهونة بموافقته عليها ...

ومع ذلك فان الدستور قد عطل العمل فيه كليا أو جزئيـــا فى أوقات الازمات التى مرت بالطبقة الحاكمة ، كالفترة التى جاء بهـــا نور الدين محمود الى الحكم حيث جعل من نفسه سلطة فوق الدستور واجاز لنفسه تعطيل الاحزاب واغلاق الصحف بعد أن خالف الدستور فى تسلمه الوزارة بأمر رئيس الدولة .

وخلال عشرين عاما منذ عام ١٩٣٥ ، اعلنت الاحكام العرفيـــة اكثر من عشر مرات ، وحكم فيها الحكام العراقيون خلال هذه المدة

ذاتها اكثر من ثمانية أعوام . وكانت كل الاحكام العرفية توجه لغير الغاية التى أعلنت من اجلها ، وكان الحكام السود يستخدمونها للانتقام من الحركات الوطنية . ولتثبيت المصالح الاستعمارية ، ولانقاذ حكمهم المتداعى ولو الى حين .

وبسبب التلاعب بالدستور ، وسيادة القوانين الاستثنائية . وسهولة اعلان الاحكام العرفية وتوجيهها للانتقام من الشعب ساد عدم الاستقرار فى الحياة السياسية فى العراق ، وغرقت البلاد فى اضطرابات مريرة ليست فى صالح الشعب العراقى . ولتمثيل ذلك يكفى أن نعرف هذه الحقائق :

١ ــ الف فى العراق منذ عام ١٩٢١ « ٥٢ » وزارة . اى بمعدل اكثر من وزارة ونصف فى السنة . واطول الوزارات عمر الاتتجاوز عامين . واقصرها عمرا هى وزارة المدفعى بعد الانتفاضة حيث دامت بضع ساعات .

٢ ــ الف نورى السعيد «١٣» وزارة من هذه الوزارات واشترك فى «١١» وزارة أخرى وظل فى الحكم مايقرب من «١٧» عاما منذ سنة ١٩٢٢ .

٣ ــ حل فى عهد الحكم الوطنى « ١٥ » مجلسا نيابيا ، استكمل مجلس نيابى واحد منها دورته الاعتيادية وهى اربعة أعوام .

٤ ــ أغلب الحكام العراقيين من الذين شهدوا الحكم التركى . ولم تتغير عقليتهم منذ «٣٥» عاما .

وازاء هذه الفوضى لم يشعر جل الذين استلموا الحكم بمسئولية نحو الشعب . ذلك لانهم اعتقدوا بأن بقاءهم فى الحكم لم يكن مرهونا بمشيئته ، وانه لا يستطيع اطالة عمر حكمهم او تقصيره . وآمنوا بأن الانجليز هم اصحاب السطوة والنفوذ فى كل الظروف فأطاعوهم أو تجنبوا اغاظتهم فى اهون الامور . وبعد حركة رشيد عالى الكيلانى اصبح البلاط المشرف الفعلى على كل عمل حتى لقد قال الزعيم العراقى الكبير الاستاذ كامل الحادرجى فى مذكرته عام ١٩٥٢ الى الوصى بأن « الوزارات كانت تعلق بقاءها فى الحكم على ارادة البلاط

ومشيئته ، فاستسلمت كل الاستسلام له ، وأصبح والحالة هذه مرجعا حقيقيا فى كل صغيرة وكبيرة حتى تعيين الموظفين واحالتهم على التقاعد وما الى ذلك من الامور » .

ولم تعد للمجالس النيابية قيمة . فقد كانت الوزارة المشرفة على الانتخابات تتدخل فيها تدخلا سافرا . فتفوز باغلبية برلمانية مصطنعة وكل الانتخابات التى أجراها نورى السعيد – مثلا – اصبح بعدها « زعيم » الاغلبية البرلمانية . وفى بعض الاوقات كانت الحكومة تستدعى متصرفى الالوية « محافظى المديريات » وتعطيهم قوائم بالنواب الذين يجب أن يفوزوا . كما حصل فى انتخابات ١٩٤٧ و١٩٤٨ . وكان البوليس يتدخل بصورة مكشوفة ويعتقل من يجرؤ على التصويت للمرشحين غير الحكوميين ، كما حصل فى انتخابات أرشد العمرى . وانتخابات نورى السعيد المتعددة ، واغلب الانتخابات الاخرى .

وأصبحت الحكومة التى تعين اما نتيجة لهذه الانتخابات المزيفة أو برغبة جهة اخرى غير مسئولة لاتلتزم جانب الشعب . ولا تعبأ بمطالبه . فان رضاه وسخطه لايقدم من حكمها شيئا ولا يؤخر مادام لا يتحكم فى الانتخابات . واخذت هذه الحكومات التى جاءت عن طريق غير شرعى تسلك فى حكمها طريقا غير شرعى أيضا وتجمع بيدها كل السلطات . وتهيمن على كل أجهزة الدولة . وهى بالاضافة الى سيطرتها على السلطة التشريعية اخذت تسيطر على السلطة القضائية وتجعلها تابعة لها . ففقد القضاء العراقى من جراء ذلك استقلاله واصبح تابعا للحكومة على الأخص بعد أن أصبحت تنتقم من الحكام الذين يحترمون شرف مهنتهم بنقلهم الى اماكن نائية من العراق أو تدبير امر ابعادهم عن المناصب القضائية الحساسة بالنسبة لهم . واصبح المتهمون يقدمون الى المحاكم والحكم مهيىء لهم سلفا . واشتهر تاريخ القضاء العراقى « حكام » كانوا عونا للحكم الاسود ، و « وسيلة » يستخدمها الحكام السود للانتقام من العناصر الوطنية . فكانوا يصدرون الاحكام بالجملة ، ولا يسمحون للمتهم بالدفاع ، ويكتفون بشهادة الحكومة وبوليسها ، ويصدرو اقصى عقوبة يسمح بها القانون .

وحكم هذا شأنه لابد من أن يعتمد على القوة البوليسية . ومنذ عام ١٩٤١ اخذت الحكومات العراقية تعنى بالبوليس عناية تامة ، وتجهزه بأحدث اساليب الفتك ، وتصرف عليه المبالغ الطائلة ، وتزيد من عدده زيادة مطردة . واصبح لها بوليس سرى ذو عدد ضخم يتعقب المواطنين فى المدارس والكليات والمقاهى ودور السينما ومحلات اللهو ، وتنحصر مهمته فى تقديم تقارير يومية عن سلوك الناس ، وتفتيش المنازل دون ترخيص من سلطة قضائية والقبض على المعارضين للحكم الاسود . وسيطر البوليس السرى على كل شيء . فشهادته المفضلة لدى المحاكم ، وكلمته هى النافذة فى تعيين الموظفين لدى الحكومات والشركات الاهلية وقبول الطلاب فى المدارس الثانوية ، والكليات ، حيث لايمكن أن يعين موظف فى دائرة حكومية أو شركة اهلية ، ولا يحق للطلاب تلقى العلم والدخول الى المدارس الا حين يعطى البوليس شهادة « حسن السلوك » . وبعض المعاملات التجارية بين الافراد والشركات الاهلية لاتتم الا بالحصول على هذه الشهادة .

واصبح هذا البوليس يتعقب الطلاب داخل مدارسهم ،والموظفين فى محلات عملهم ، ويترصد حركاتهم ويسجل اقوالهم واسماء الصحف المحلية التى يقرؤونها ، والكتب التى يطالعونها ، والاصدقاء الذين يصطفونهم . ويبعث بالتقارير الى المدارس والكليات والشركات والدوائر الحكومية ليسير رؤساء هذه المؤسسات على ضوئها فى معاملة الاشخاص المعنين بهذه التقارير ، ويفصل الذين يرى «البوليس السرى » بأن سلوكهم يخالطه شعور وطنى .. او يداخله احساس بعدم الارتياح الى الوضع القائم .

وسيطرت العقلية البوليسية على الثقافة ، فانشئت فى مديرية التوجيه والدعاية العامة رقابة صارمة على الكتب المستوردة من مصر وسوريا ولبنان ، وروقبت الصحف العربية مراقبة دقيقة ، وحرم المواطن العراقى من متابعة مايجرى فى العالم العربى من تيارات فكرية وادبية ، واصبح لايطلع الا على مايريد البوليس اطلاعه عليه ولا يرى ضررا منه . كما تدخلت العقلية البوليسية الى معاهد

التدريس ودور العلم وتحكمت فى الموضوعات التى يدرسها الطلاب ، فشطبت من البرامج كل الثورات الشعبية العربية والانسانية ، وروجت الافكار الاستعمارية والدعايات المسمومة . وفتحت ابواب السينمات للافلام الاجرامية والحقد على الشعوب وتشجيع الحروب . وتحبيذ التمييز العنصرى ، وتفوق الشعوب بعضها على بعض . وحرم العراقيون من كل الافلام النظيفة التى تربى فى الشعب الحقد على الظلم ، والاخلاص للوطن ، وحب السلام وتآخى الشعوب .

وفى عهود الاحكام العرفية ينشط زبانية الحكم الاسود فى اقتناص الوطنيين . وتوجيه التهم الملفقة ضدهم لاصدار اقصى العقوبات بحقهم ومن جراء الاحكام الكثيرة التى تصدرها المجالس العرفية ، وبسبب انحياز القضاء فى فترات طويلة الى جانب الطبقة الحاكمة . وخضوعه لاوامر البوليس السرى اخذت السجون العراقية تمتلىء بالسجناء و ضحايا الحكم العرفى وشهادات البوليس المفرضة .

وفى العراق سجون مشهورة لعبت دورا كبيرا فى ارهاب المواطنين والتنكيل بهم ، وهذه السجون عاش السجناء السياسيون حياة مغرقة بالقسوة ، مجردة من ابسط الحقوق الانسانية ، وعانوا من فظاعة المعاملة ، وسوء الادارة حتى تعرض اغلبهم الى المرض باخطر الامراض ، وانتهت حياة بعضهم نهاية محزنة دون ان يطالب قانون بحقها .

وثمة سجن فى العراق معروف باسم « نقرة السلمان » له شهرة عالمية فى وحشيته وشناعة الحياة فيه ، وفى المؤامرات الكثيرة التى دبرت فيه للقضاء على المواطنين ومحقهم من الوجود . ويقع هذا السجن المظلم غرب السماوة جنوب العراق فى اعماق صحراء لم يختط بها طريق فى وهدة من الارض تحيط بها الرمال من كل جانب ولايستطيع الهارب ان ينجو منه لبعد المسافة بينه وبين اول اثر يصادفه للعمران والحياة الانسانية .

فى هذا السجن قضى مواطنون عراقيون كثيرون سنوات طوالا ،

لم يعرفوا خلالها ما يجرى فى العالم الخارجى ، وعاشوا حياة خشنة معتمة فى اقسى الظروف وابشعها دون ان تراقبهم عين انسانية ، وينظم حياتهم قانون نظيف .

ولكى أكمل صورة هذا السجن الذى وصفه الاستاذ « صديق الخوجة » نائب مدير السجون العراقية بأنه « وصمة عار فى جبين الحكومة العراقية » . انقل ماكتبه الاستاذ محمد راشد فى كتابه « من اعماق السجون فى العراق » حيث قال :

فى الشتاء تفيض نقرة السلمان بالماء وتنقطع المواصلات ما بين السجن والعالم الخارجى . ولعل الماء هو الذى انبت فى مخيلة ذلك الجندى البريطانى « أبو حنيك » فكرة بناء قلعته الحصينة فى ذلك المكان ، على مرتفع صغير وسط بحيرة الماء .

ويطالع الانسان حين يقترب منها بواجهة متواضعة من بناء حديث ، أضيف اليها فى السنوات الاخيرة ، بعد ان حولت الحكومة العراقية تلك القلعة الصحراوية الى سجن . ويتألف هذا الجزء من القلعة من بضعة غرف للمأمور والمحاسب والكاتب ، وغرفة للحبس الانفرادى . حيث يؤدى الممر الذى يسلكه المرء ، الى باب آخر يوصل الى ساحة مكشوفة ، تتقابل على جانبيها من الشمال والجنوب قلعتان عاليتان من الحجر يتألف كل منهما من طابقين . ويقوم فى وسط الساحة بناء منخفض يلجأ اليه السجناء حين تزدحم القلاع ، فيتعذر على السجناء النوم فيها . والى جانبه ، البئر المالحة التى يشرب منها السجناء حينما تقطع الحكومة عنهم الماء .

اذا أراد الانسان دخول القلعة فعليه أن يتسلق اثنتى عشرة درجة على سلم خشبى يرتفع به الى مربع صغير فى الجدار عند الطابق الثانى يسمونه باب « القاصة » . والقاصة اصطلاح معروف يطلق على صندوق من الحديد تودع فيه الاشياء الثمينة. عندئذ ، على المرء ان يجمع ركبتيه الى صدره ليزحف الى داخل « القاصة » الى ذلك التجويف المظلم الذى ، يتبين فيما بعد ، معالمه البسيطة

فاذا هو صندوق مستطيل الشكل من الحجارة ، وصفائح الحديد التى انشىء منها السقف وبعض اجزاء الجدران . حيث اراد الجنرال « جلوب » ان ينصب رشاشاته لتحضير عرب البادية . طول هذا الصندوق الصخرى الحديدى نحو ١٥ متر وعرضه نحو ٧ أمتار . هذا هو الطابق الاعلى . ومنه يهبط فى سلم داخلى الى الطابق الادنى . ليشاهد . بدل المنافذ ، كوى للبنادق بمساحة راحة اليد ، تتسرب منها خيوط الشمس . وتلك علامة النهار ! ويدخل منها شيء من الهواء الذى يحفظ شعلة الحياة فى الاجساد من ان تنطفىء مسرعة !

فى ظلام القلعة وهوائها الفاسد يغط السجناء — فى ساعات النهار — فى نوم طويل عميق كالموت ، يستفيقون بعدة متحدرين صفر الوجوه منتفخى العيون . اما فى الليل فتغلق أبواب القاصة من الخارج ، حتى ساعة متأخرة من اليوم التالى . واحيانا حتى الظهيرة ، حينما تريد ادارة السجن ان تمعن ، لسبب ما . فى ايذاء السجناء واستفزاز اعصابهم المتوترة ليلا ونهارا . فتبقى مئات الاجساد مكدسة متخدرة مشلولة عن الحركة ، لضيق المكان . تنتظر ان تفتح أبواب القاصة لتقضى حاجاتها الطبيعية ، ولكى تجد بعد ذلك متسعا من المكان للحركة ولكى تستنشق الهواء وترى ضوء النهار .

هنا ، فى الساحة يستطيع السجين ان يتمطى ويسعل بملء رئتيه بلا حذر او وجل وان يبصق اينما يشاء ، وأن يستجمع قواه ويشد عزيمته لقضاء ليلة اخرى من ليالى القلعة . هكذا تمضى الايام ، موحشة رتيبة : رتيبة حتى فى مايقع فيها كل يوم من مضايقات واعتداءات واستفزازات ، حول الطعام والماء والرسائل والكتب والجرائد والدواء ومجىء الطبيب .. الخ ، حيث تدور الحياة دورتها الضيقة بين الاسوار والقلاع وغرفة المأمور ، فى بطن تلك الصحراء الموحشة الخاوية .

حينما تأتى الى السجن سيارة الطعام او الماء قادمة من السماوة ، يستمع السجناء الى بوقها وهدير محركها بشغف ومتعة . فتلك

علامة من علامات العالم الفسيح المتحرك النائى . وحينما يمرق فى السماء طير ـ وهذا نادرا ـ فتلك علامة اخرى للحياة ، يستبشر بها السجناء أيما استبشار . وفى يوم من ايام الربيع ، اخطأ سنو نو طريقه ، فدخل القلعة من الكوى . فهب السجناء يهشونه ويطاردونه فى الظلام حتى سقط متعبا بين يدى احد « الرفاق » كان السجناء يمرحون ويتضاحكون كالاطفال لتلك المفاجأة السارة ولكنهم ما لبثوا ان أطلقوا سراح السنونو ، وودعوه بأنظارهم من باب « القاصة » حتى اختفى » ..

وفى السجون العراقية ارتكبت ابشع الجرائم ، وابعدها عن الروح الانسانية .. فمن اهمال للمرضى ، الى تجويع للسجناء ، الى حبس الهواء والشمس عنهم ، ووضعهم فى سجون انفرادية لايتنفسون الا الهواء المحمل برائحة الموت .



## الفصل الرابع

# مذبحتان فى السجون العراقية

الجرائم التى ارتكبت فى السجون العراقية كثيرة لايبلغها حصر . فقد كانت دائما أوكارا للموت وللانتقام البشع . وقد ظلت السجون العراقية تضم كل الذين يحاول الحكام السود القضاء على حياتهم داخل الاسوار ودون أن تراقبهم عين انسانية .

واصبح الناس يعتقدون ـ على حق ـ بأن الحكم على انسان بالسجن معناه الحكم عليه بالموت البطىء . فالذين يدخلون الى السجون العراقية لايخرجون منها .. واذا خرجوا لايخرجون معافين سالمين .

فمنذ اليوم الاول يبدأ برنامج مرسوم للتآمر على حياتهم وتحطيم روحهم المعنوية .. وحين كانت المؤامرات الصغيرة لاتنجح كان المشرفون يدبرون مؤامرات كبيرة للقتل الجماعى للتخلص من اكبر عدد ممكن من المسجونين ..

وقد حدث هذا فى سجن بغداد .. عاصمة العراق فى وضح النهار ..

وحدث ثانية فى الكوت بعد شهرين من مذبحة بغداد
وحدث ثالثة فى بعقوبة .. فى حكم نورى السعيد الحالى
وكان الامر فى المذبحتين الاولى والثانية كالآتى :

### المذبحة الاولى .. فى سجن بغداد :

فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ أبلغت الحكومة السجناء السياسيين الموجودين فى سجن بغداد المركزى بأن امرا رسميا قد صدر بنقلهم الى سجن بعقوبة مع جميع السجناء السياسيين الموجودين فى سجون العراق .

وكان الخبر فى حد ذاته بسيطا .. غير ان السجناء أدركوا من

تجاربهم المريرة وكفاحهم الطويل ضد تعسف ادارات السجون أنه يحمل معنى آخر ليس فى صالحهم .

لقد ناضل هؤلاء السجناء نضالا مستمرا من اجل حقوقهم كسجناء سياسيين ، وحصلوا على بعض المكاسب ، البسيطة ، استقروا فى سجن بغداد قريبا من ذويهم ومن اخبار الوطن الذى احبوه . فلما جاء امر نقلهم رأوا فيه تجريدا لهم من المكاسب،وابعادا مقصودا يهدف الى البدء بحملة جديدة من حملات الاستفزاز التى كانوا يلاقونها بين حين وآخر .

وفى الصباح كان كل شىء اعتياديا . فقد جاء رسول الحكومة وتفاوض معهم على السفر . واتفقوا على امهالهم ريثما يستطيعون مناقشة الامر .. غير ان السجناء جوبهوا فى اليوم ذاته وهم يتناولون طعام الفداء بقرع شديد على سطح السجن . وكان هذا شيئا غير اعتيادى حملهم على ترك طعامهم واستجلاء الامر . وتبين لهم أن البوليس يقيم استحكامات على سطح السجن ، ويصنع من اكياس الرمل متاريس . كما اكتشفوا بأن عددا ضخما من البوليس حاصر السجن ، وتهيأ للعمل .

وفى الساعة الواحدة امر السجناء بترك السجن حالا .. وكان البوليس مستعدا لخوض المعركة معهم . غير أن السجناء لم يمتثلوا للأمر ، وأصروا على طلب مهلة للتفكير ..

ومضى وقت قصير .. وبعده انهالت الحجارة على السجناء وانطلقت الفازات المسيلة للدموع . وبدأ صراع غير متعادل بين بوليس مدجج بالسلاح ، ومطل من فوق .. وبين سجناء عزل من السلاح لايملكون وسائل الدفاع .

وانهالت القذائف المسيلة للدموع ، وتصاعد الدخان وكان السجناء يكافحون الحجارة الهابطة من فوق ، والفاز المتصاعد من قنابل ترامت عليهم تترى . وصمد المدافعون امام هذين السلاحين ووقف اكثر من ( ٨٠ ) سجينا يحرسون باب السجن الخشبى مخافة ان يحطمه البوليس .

وبدأ هجوم مركز على الباب بغية تحطيمه . ووجهت خراطيم المياه لصد المدافعين عنه .. غير أن السجناء صمدوا خلف الباب ، ونافحوا عنه بشجاعة ، واتقوا قوة الماء بالصلابة فلم يجد البوليس بدا من كسر الباب بالمعاول والارفاش .. ومضى على المعركة اكثر من ساعتين .. وعند الساعة الرابعة بدأ البوليس يطلق النار . وتركز الهجوم على الباب الخشبى حتى تحطم واندفعت منه اوتال البوليس مزمجرة راعدة . واستشهد ثلاثة من السجناء هم «الحاج بشير » و « موسى سليمان » و « احمد حسون » . وكان البوليس لايترك صرعى الرصاص دون أن يجهز عليهم بالحراب . ويهشم جماجمهم ، ويبقر بطونهم .

وازاء هذا الهجوم الملتهب التجأ السجناء الى الزنزانات والغرف . فطاردهم البوليس ، وبدأ يطلق النار من الشبابيك والكوى الصغيرة . ثم دخل بعض الغرف واسكت انفاس سجنائها بالحراب . وفى ساحة السجن الكبيرة كان البوليس يغرس حرابه فى رقاب الجرحى والمصابين بالرضوض ، ويطعن الموتى مرات متتالية ليتأكد من موتهم . وانتهت معركة النار .

وامر البوليس السجناء بالخروج من الغرف . واذ خرجوا انهالت عليهم اللكمات والعصى واخماص البنادق . وكان الجرحى والمنهكون من المعركة والمصابون بالرضوض يستقبلون بضرب مبرح ، وتبدأ الايدى الغليظة تقرع مواطن الالم من اجسامهم المتعبة المصابة .. وانقضت المعركة دون أن يسلم السجناء المائة والخمسون من ضرر . غير ان البوليس لم يسمح بدخول المستشفى الا لخمسة واربعين سجينا كانوا مصابين بجراح ورضوض بليغة .. اما الآخرون فقد رحلوا فى نفس اليوم اما الى سجن بعقوبة .. او الى المقابر !

وخرجت الحكومة فى اليوم التالى ببيان عن هذه المذبحة قالت فيه أن السجناء « قاموا بمظاهرة داخل السجن استعملوا فيها عبارات القذف ضد المقامات العليا وضد الحكومة . وانهم قابلوا نصائح المسئولين بالعنف وباشروا برمى رجال الامن بالحجارة والقنانى والقضبان الحديدية ، واستعملوا مختلف الآلات الجارحة فى تمردهم

هذا مما ادى الى جرح ثلاثة وسبعين شرطيا منهم ١٦ معاونا ومفاوضا، فاضطرت الشرطة الى مقابلتهم بالمثل لردعهم ، فاطلقت بعض العيارات النارية حدثت بسببها اصابات أدت الى موت سبعة من المساجين وجرح ٢٢ منهم نقلوا الى المستشفى » ..

وليتصور القارىء المعركة بهذه الصورة المضحكة التي ترسمها الحكومة .. صورة البوليس المدجج بالسلاح ، المطل من خلف المتاريس يصاب بضعف ما يصاب به السجناء الذين لايملكون مايتقون به الحراب الموجهة الى صدورهم ، والرصاص المزمجر على مقربة منهم .. أهذا يصح ؟ ! .. ان الحكومات في العراق دابت على ان تخرج بمثل هذه البيانات المضحكة في المظاهرات السلمية ، واعمال الاعتصام والاحتجاج ضد الحكم البربري .. فيكون المصابون من بوليسها اضعاف المصابين من المتظاهرين .. وكأن البوليس كان هو المتظاهر!

وهكذا عولجت قضية المذبحة ، وانتهت بأن اعطت الحكومة مكافآت لموظفيها الذين اشتركوا في الذبح .. واسندت اليهم مناصب تليق بأعمالهم .

## والمذبحة الاخرى .. في سجن الكوت :

ولم يمض شهران على مذبحة سجن بغداد حتى فوجىء الرأي العام بمذبحة اخرى تقترف في سجن الكوت .

كان سجناء الكوت السياسيون قد تعرضوا منذ عام ١٩٤٩ الى سلسلة لاتنتهي من الاستفزازات ، وكانت الحكومة تسند ادارة السجن لأكثر موظفيها استهتارا بالقيم الانسانية ، واخلصهم لاسلوبها في الحكم البربري ، وابعدهم عن احترام القوانين . وقد جاء الى هذا السجن مديرون كتبوا قصصا نموذجية للفظاعة والتجرد من كل شعور انساني .. ومع ذلك فقد واصل هؤلاء السجناء نضالهم لانتزاع حقوقهم كسجناء سياسيين ، وانتصروا في اكثر من مرة على الذين لايحترمون كرامة الانسان .

وطبيعي ان تستفز انباء المذبحة في العاصمة شعور السجناء

وتجعلهم فى قلق عن مصيرهم .. فقد تعودت الطبقة الحاكمة أن تبدأ فى خرق القوانين بحادثة . ثم تسن بذلك سنة تسير عليها ، وتمارس عملية الخرق .. وكأنها شيء مألوف !.

والحكومة التى دافعت عن جزاريها وكافأتهم مكافأة جزيلة لاتتورع من أن تدبر فى كل سجن مذبحة ، وتخرج على الناس ببيان تقول فيه أن السجناء قتلوا من بوليسها المسلح كذا وكذا !

لهذا فقد اضرب سجناء الكوت عن الطعام اضرابا رمزيا وأرسلوا وفدا الى المحافظ قدم له احتجاجهم على مذبحة السجناء وطالب بمعاقبة مدبريها ومنفذيها والتعهد بعدم تكرار امثال هذه المجازر.. وكان هذا العمل فى نظر المسئولين عن ادارات السجن خروجا على السلطان . لايمكن أن يمر دون جزاء .. وبدأ المشرفون على السجن يشددون على السجناء ، ويقومون بعمليات الاستفزاز . ويرسلون كل من يحتج على ذلك الى سجن نقرة السلمان . ثم فرضوا الحصار على السجن ، واشاعوا فى المدينة ان السجناء قد تمردوا واعلنوا عصيانهم على الحكومة كى يحضروا الاذهان للقيام بهجوم مسلح .. غير أن سكان مدينة الكوت لم يصدقوا هذا الامر . وعرفت عائلات السجناء الحقيقة أثناء مقابلتهم الرسمية لذويهم فتظاهروا .وطالبوا المتصرف بأن يذهب الى السجن لمعرفة جلى الامر . وذهب المتصرف الى السجن ليعلن للسجناء بأن المجلس العرفى ببغداد يطلب احضار ( ١١٨ ) سجينا منهم لمحاكمتهم على عريضة قدموها احتجاجا على اختطاف اربعة سجناء وتعذيبهم .. وكان القصد من ذلك استدراج السجناء الى الخارج ونقلهم الى نقرة السلمان بعد تجريدهم من حقوقهم المكتسبة ، واضافة أحكام جديدة ضدهم .

وفى ٢٧ يوليو ١٩٥٣ حضر الى السجن مدير السجون العام مع مدير سجن بغداد الذى دبر المذبحة يرافقهما عدد كبير من بوليس السجن . وشرعوا فى تفتيش السجناء تفتيشا دقيقا . وحضر بعد ذلك المجلس العرفى العسكرى ، وشكل محكمة فى غرفة مدير السجن سيق اليها السجناء ، وبدأت محاكمة صورية انتهت بأحكام سرية ،

واعلن المجلس العرفى بعدها بأن محاكمة اخرى ستجرى بتهمة قراءة الاناشيد الوطنية داخل السجن .

وبدأ فى ٢ اغسطس حصار تام على السجن كسر فيه البوليس خزان المياه الخارجى ، وامتنع عن تقديم الطعام المخصص لهم واستمر الحصار شهرا ويومين عاش السجناء خلالها على تقتير شديد فى الطعام الذى وصلهم من ذويهم قبل بدء الحصار . وبعد ستة أيام من الحصار اخذوا يصنعون الخبز من النخالة ودقيق العدس والحمص ، ثم من قشور الفول . وكان الماء المخزون قليلا ، وحاجة الانسان اليه فى شهر اغسطس الملتهب شديدة فقرر السجناء حفر بئر فى السجن بالادوات البسيطة التى يملكونها غير ان بوليس السجن رفض السماح لهم . وهددهم باطلاق النار . غير ان حفر البئر كان بالنسبة للسجناء قضية حياة او موت فظلوا يحفرون بئرا حتى وصلوا الى عمق اربعة امتار حيث وصلوا الى الماء . واستقوا منه دلاء من الماء المالح . وكان ذلك نصرا رائعا هز اعصاب البوليس ، واستفزهم للقيام بهجوم كاسح . وبدأ هذا الهجوم بسباب مقذع أرسل من ابواق ، ثم بارسال بعض الجواسيس للنيل من كرامة السجناء .

وفى ١٤ اغسطس اخذ البوليس يصب الرصاص من بروج المراقبة وسطوح السجن فقتل بعض السجناء وأصيب آخرون بجراح خطيرة . ثم كرر البوليس الهجوم فى الساعة الرابعة من صباح ٣ سبتمبر مستعملا الرشاشات والخناجر والحراب وقضبان الحديد . وفى الظلام الدامس كان السجناء لايعرفون من أين يأتيهم الموت . واستبيح السجن ، وجرت المعركة رهيبة فى الداخل فقتل ثمانية من السجناء ، وجرح أربعة وتسعون .

وهكذا انتهى نضال غير متكافىء ، وقالت الحكومة ان السجناء هم الذين استفزوها .. ولم تجر اى تحقيق جدى .

* * *

## أم سجين .. في نقرة السلمان

في قلعـة جبلت حجارتهـا
بدم القلوب وبارد العـرق
ظلمـاء يلهث في مغـاورها
داجي الهواء لهـاث مختنـق
وتعفن الزمن الحبيس لـدى
جـدرانها طبقـا على طبـق
وتلفظت الصـحراء فاغـرة
عنهـا فم المتثـائب القلق
حيث النهـار هجيرة ودجى
والليـل غاشـية من الارق
قلب أعـز من الحيـاة على
قلبي .. يـلوك بقيـة الرمق

●

ماكـاد يخطـر أمس في بـالي
أني سأشـهد موت آمالي
أني أمـد يدي فيمنعني
عن ان أضمـك حائط عـال
أأرى النجوم ولست تبصرهـا
الاخـلال كوى وأغـلال
تحنو وتسطع .. مثلما خفقت
في ركضـها أقـدام أطفـال
وشواطيء الانهار ضـاحكـة
لك ، والسنابل والضحى العالي
واظل أحـلم ثم ينبؤني
كيف أنتهيت سريرك الخـالي

●

أفللسجون ولدته ؟ ! ..أجرى
عرقي وزلزل جسـمي الألم

وضحـــكت والحمى ترج دمى
والـــدمع فى عينى يضـــطرم
لمـا ؛سـتهل وأدركتـــه يدى
ورأيت كيف تجســـد الحلم
ليموت ـ أينع مايكون ـ طوى
بئس الفضـــاء ، وبئست النظم
تلك العظـام أكنت أطعمهـــا
لحمى ، وأبنيهـــا وأنهـــزم
ليـــدكها ثمـل ويركلهـــا
بحـــذائه المتجبر العـــرم

●

انى أغتصبت من الردى ثمنـــا
لدم الشهيد ، ودمعى الجـارى
حسبوه نجسا وهو لو علمـوا
رعـد البـذور بقطف أثمـــار
انى عرفت ـ وقبـــلى اطلعت
مقل الثكالى من كوى الثـــار
أن ليس من ولـد لوالـــدة
حتى يجنـــدل كل جـــزار
حتى يحـــرد حيثمـــا سمعت
أم تدثر طفلهـــا العـــارى
باسم السلام فداعبت فمهـــا
خـــلل الدموع طيـوف آذار

(( بدر شاكر السياب ))

* * *

## الفصل الخامس

# عودة نوري السعيد

في ربيع ١٩٥٤ كانت المشاريع الاستعمارية في العراق مصابة بنكسة !

كانت القوى الوطنية المناوئة للاستعمار واحلافه تلتف حول « الجبهة الوطنية » التي استطاعت برغم الحملات المركزة لتزييف الانتخابات أن تفوز بكتلة برلمانية تسندها قاعدة شعبية واسعة في ميسورها أن تحبط كل مشروع استعماري .

فأخذت مخاوف الاستعمار تشتد ، ولم يعد بامكانه تحقيق مايريده بسهولة .. وتحت « غلاف » من الديمقراطية !

وكانت لديه مشاريعه القديمة الملحة الذي اخذ الزمن يبرز ضرورة تحقيقها للمحافظة على مصالحه . كما أخذ يواجه حركة وطنية واسعة تهدد مصالحه في الصميم . وتجعل أمر القضاء عليها موضوع الساعة بالنسبة اليه .

**ولتحقيق هذا كله لم يجد امامه غير طريق واحد .. هو طريق تركيز الحكم الدكتاتوري ، وفرض مشاريعه بالقوة .**

وكان لابد من رجل « قوي » يستطيع اكتساح الحركة الوطنية بأشد ما يستطيع من اساليب الطغيان ، ويتغلب على مواطن الخطر ، ويهيىء الجو للمشاريع الاستعمارية الكبرى .

وقد طبق الاستعمار هذه الخطة كاملة . واختار رجل الساعة .

ففي ٣ اغسطس فوجيء الناس باسناد الوزارة الى نوري السعيد بحجة انه « زعيم » الاغلبية البرلمانية .

وجاء نوري السعيد الى الحكم كقائد اغتصب بلادا بقوة السلاح . فقد ارسل الى الملك خطابا طويلا يفرض شروطه لتحمل المسئولية ،

ويقول انه عازم على طرح مشروعات خطيرة على مجلس « يمثل الامة تمثيلا صادقا » . فلا بد من استفتاء الشعب فى هذه المشاريع عن طريق « انتخابات » جديدة . كما قال « ان سياسة العراق الخارجية ينبغى ان تقوم على اساس المحافظة على سلامة البلاد . ومراعاة الحالة الدولية . والتطورات الخارجية فى الشرق الاوسط بعد عقد الميثاق التركى ــ الباكستانى . كما اشار الى «غزوته» الماضية عام ١٩٣٠ والى المعاهدة التى ابرمها اذ ذاك . وذكر ان سياسته الداخلية تتلخص فى تطهير اجهزة الدولة من العناصر الهدامة والفاسدة ، ومكافحة ذوى المبادىء الهدامة .. وكيت وكيت ..!

وقبل الملك هذه الشروط كلها واعلن حل المجلس .

وبدا نورى ينفذ برنامجا واسعا للقضاء على الحركة الوطنية ، وتصفية الجو للعمل حرا بلا رقابة .

وبعد عشرين يوما من مجيئه اصدر امرا باغلاق الحزب الوطنى الديمقراطى . اشد الاحزاب الرسمية مناواة لنورى السعيد ، ومعارضة لمشاريعه .

وفى ظهيرة الخامس والعشرين من اغسطس جاءت زمرة من رجال البوليس العلنى والسرى ، واقتحمت مقر الحزب الرئيسى ، واستباحت مكاتب جريدة « الاهالى » ، وعبثت بمحتوياتها . وفى المساء اذاع راديو بغداد بيانا من وزارة الداخلية قال فيه : ان الحزب الوطنى الديمقراطى داب على بث الكراهية بين الناس ، والتغرير بالبسطاء . وان جريدة « الاهالى » تنشر عرائض مزورة .. وان الحكومة حرصا « على مستقبل هذا الشعب الآمن » قررت اغلاق الحزب وجريدته ! !

وكانت « الاهالى » منذ ان اخذ رجال الحكم فى العراق يفكرون فى ربطه باحلاف استعمارية ، تنشر كل يوم عرائض واحتجاجات كثيرة كانت تصلها من انحاء كثيرة من العراق . وكانت هذه العرائض بالاضافة الى المقالات التى كانت تنشرها الجريدة موضع ذعر الاستعمار والحكام السود فى العراق . وقد بدا طبيعيا جدا ان يتخلص نورى السعيد من الحزب الوطنى الديمقراطى وجريدته المناضلة ذات التاريخ المجيد

فى معاداة الاستعمار والحكم الاسود فى العراق قبل ان يقدم على اى مشروع آخر .

وبعد ذلك اخذ نورى السعيد يصدر مراسيمه التعسفية وكان الامر كالآتى :

فى ٢٢ اغسطس صدر **مرسوم اسقاط الجنسية العراقية** الذى اجاز لمجلس الوزراء ـ بناء على اقتراح وزير الداخلية ـ اسقاط الجنسية العراقية عن العراقى المحكوم وفق قانون ذيل قانون العقوبات البغدادى الخاص بمحاربة « الشيوعية » . واعطى لوزير الداخلية الحق فى « اعتقال الشخص المسقطة عنه الجنسية العراقية فور صدور قرارمجلس الوزراء بذلك ، والاحتفاظ به الى ان يتم ابعاده » . .

وتحت ستار مكافحة الشيوعية شنت الهجمات الضارية على الوطنيين ، واصدرت المجالس العرفية اشد الاحكام ضدهم . وطبيعى جدا ان نورى السعيد حين اصدر هذا المرسوم اراد تطبيقه على كل متهم بالوطنية ، وكل معارض لمشاريعه وطريقته الدكتاتورية فى الحكم وهذا ماتم فعلا حيث أسقطت الجنسية العراقية عن خمسة مواطنين هم عزيز شريف والدكتور صفاء الحافظ وخالد الصانع المحامى وعدنان الراوى المحامى وكاظم السماوى . واتهم هؤلاء بالتعاون مع دولة اجنبية . . وهم يعنون بذلك مصر حين كانت تقف بصلابة فى وجه حلف بغداد .

وعدل قانون العقوبات لتشمل المادة «٨٩(أ)» منه كل من حبذ الشيوعية او كان عضوا فى حزب شيوعى . **أو فى حركة انصار السلم أو الشبيبة الديمقراطية أو ما الى ذلك (١) »**

---

(١) اصبحت عبارة « وما الى ذلك » موضع سخرية رجال القانون فى العراق جميعا . فالقانون يحاكم على تهمة معينة محددة تحديدا دقيقا . أما « ما الى ذلك » فليس لها مدلول فى لغة القانون .

وأصبحت عقوبة المتهمين بذلك الاشغال الشاقة المؤبدة أو الاعدام وبهذه الوسيلة أصبحت الدعوة الى السلم وحل المشاكل الدولية عن طريق المفاوضات جريمة يعاقب عليها القانون .. فلا بد من الحرب .. ولا بد من المشاريع الحربية .. ولا بد من الاحلاف .. ذلك هو الطريق الذى رسمه نورى السعيد للعراقيين . وكل من تجاوزه اتهم بالشيوعية وطبقت عليه المادة « ٨٩ (١) » واسقطت عنه الجنسية العراقية (١)

وصــــدر فى ٢٢ اغسطس مرسوم النقابات العام حيث أطلق يد وزير الداخلية فى شئون النقابات ، واجاز له الاشراف عليها ، وتوجيه سياستها . وبعد صدور هذا المرسوم حلت النقابات ، والف بعضها من جديد تحت اشراف البوليس السرى ، واعطيت قيادتها للغرباء عن العمال . فقوطعت مقاطعة تامة ، ولم ينضم اليها أحد . وبقيت فى العراق نقابتان من النقابات المهنية هما نقابة المحامين ونقابة ذوى المهن الطبية لا تستطيعان ممارسة عملهما بحرية بعد ان حدد المرســـوم حدودا ضيقة لهما وعرضهما لسيف التعطيل المصلت .

وصدر فى ٢٢ سبتمبر مرسوم الجمعيات الغيت بموجبه جميع

---

(١) جاء فى المذكرة التى وجهها أحرار العراق فى سوريا الى الرئيس الهندى نهرو ما يلى :

« لما كانت المادة السابعة من الدستور العراقى قد منعت منعا باتا نفى العـــراقيين خارج العراق . فقد جاء مرسوم اسقاط الجنسية نقضا فظا للدستور العـــراقى ، وحيلة غير مشروعة لنفى العراقيين خارج العراق بعد تجريدهم من جنسيتهم العراقية .. ولما كانت الاحكام تصدر بعد محاكمات صورية فقد لجأت الحكومة الى هـــذه الحيلة لتتخلص من معارضة عدد كبير من المواطنين فاستصدرت عليهم أحكاما جائرة وفق المادة ٨٩ (١) أولا . ثم بعد اتمام مدد الحكم عليهم تسلمتهم الشرطة من السجون واعتقلتهم ، وجردتهم الحكومة من الجنسية العراقية ، ونفتهم الى خارج البلاد ، وقد شملت هذه الاعمال الجائرة عددا من المحامين ، منهم توفيق منير نائب رئيس نقـــابة المحامين والمحامى كامل قزانجى الذى كان قائما بأعمال القنصلية العراقية بالهند سابقا وقد سلمتهما الى السلطات التركية حيث اعتقلتهما فى سجن الاجانب قرب أنقرة وهما فى السجن المذكور الآن » .

الاحزاب والجمعيات والنوادى سياسية كانت او اجتماعية او أدبية او فنية او دينية او رياضية حتى بلغ مجموعها ٤٦٥ حزبا و جمعية وناديا . واباح المرسوم الجديد للحكومة الاشراف على الاحزاب والجمعيات اشرافا تاما . والاطلاع على حساباتها واسماء منتسبيها وسياستها ، والاعتراض على برامجها وتعديله . والتحكم فى كل أمر من امورها وكأنها مؤسسات حكومية محضة .

فى معمعان اصدار المراسيم اجرى نورى السعيد الانتخابات . وكانت « نموذجية » فى التزييف لم يشهد تاريخ العراق انتخابات جرت على غرارها قط . فقد كان المرشحون غير الحكوميين يعتقلون والبوليس يمنع كل المشتبه فيهم من الاشتراك فى التصويت . وفى جهات معينة من العراق لم يجر اى تصويت . واكتفى بالقسائم التى أعدتها الحكومة سلفا . وجرى توقيف مئات من المواطنين الذين تحدوا الحكومة وحاولوا الاشتراك فى الانتخابات . ونتيجة لذلك كله فاز اكثر من « ١١٥ » نائبا بالتزكية من مجموع « ١٤٥ » نائبا . وهددت الحكومة المرشحين المشكوك فى أمر ولائهم . وضغطت عليهم للانسحاب من الانتخابات .

واتم نورى السعيد عملية « الاستفتاء » . وحصل على مجلس نيابى مطواع .. لا يجرؤ ان يقول له : لا ! ..

وبعد ذلك تابع سيرته فى اصدار المراسيم ..

فأصدر فى ١٠ نوفمبر مرسوم بالمطبوعات . وعطل به ما تبقى من الصحف والمجلات ، وحتم تقديم طلبات جديدة تخضع لبنود المرسوم ولم يجز الا بعض الصحف التى اشتهرت بوقوفها فى صف كل حكومة وتمجيد كل صاحب سلطة ، والخوف من نشر اى شيء يعبر عن رأى الشعب ، ولا يصادف رضى لدى الحكام السود .. واضاف المرسوم الجديد قيودا ثقيلة على اصدار المطبوعات ، كما نص على طائفة كبيرة من « المحظورات » لاتستطيع الصحف الكتابة عنها ، منها مايتصل بالبلاط ومنها مايتصل بالحكومة ، ومنها ما يتصل بالجيش والبوليس

وحددت المواضيع التي تتكلم عنها الصحف تحديدا ضيقا ، وفرضت عقوبات صارمة على المخالفين .

وبعد يومين من اصدار هذا المرسوم صدر مرسوم الاجتماعات والمظاهرات اعطى لوزير الداخلية الحق في الخروج للمظاهرات وعقد الاجتماعات . وحدد طول المظاهرة وعرضها ( ! ! ) ومواصفات أخرى مضحكة . ولكأنها فصيلة من البوليس تسير صفوفا متناسقة حتى لا بتعطل المرور . كما منح المرسوم لوزير الداخلية حق تحديد الشعارات . وأجاز له اطلاق الرصاص على المتظاهرين ، وفرض عقوبات صارمة على الذين يخالفون احكام هذا المرسوم .

هكذا نسفت هذا المراسيم الدكتاتورية كل بقايا الحريات الديمقراطية التي نص عليها الدستور العراقي ، والتي لم تستطع الحكومات السابقة نسفها . واصبح الحكم للتعسف الفردي والطغيان المتعجرف .. واختفت كل القوانين السوية .

ولم يكتف نوري السعيد بذلك فبدأ يشن حملة فصل واسعة بين الموظفين والطلاب واساتذة الكليات والمدارس الثانوية ، وعدل قانون خدمة ضباط الاحتياط بحيث استطاع ان يسوق كل المفصولين الى دورات التدريب العسكري . وانشأ معسكرين أحدهما في السعدية والآخر على مقربة من الشعيبة القاعدة الانجليزية .. وفي هذين المعسكرين عاش مئات من الطلاب والمدرسين والموظفين وأساتذة الجامعات حياة جافة تحت رحمة القوانين العسكرية الصارمة ، وابعدوا عن الحياة العامة ، وجمد نشاطهم — وكان فيهم عدد كبير من الكتاب والشعراء والمثقفين اذكر منهم الدكتور صلاح خالص والقصاص عبد الملك نوري والشاعرين عبد الوهاب البياتي وعبد الرزاق عبد الواحد والفنان المسرحي يوسف العاني .

وبدأ الغارات الليلية على العراق وصودرت من المكتبات الخاصة الكتب ذات النزعة الفكرية ، واعتبرت « مستمسكات » جرمية قدم اصحابها الى المحاكم . ومنعت الرقابة كل المجلات والصحف العربية

تقريبا ، وتشددت فى السماح للكتب أدبية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، ولم تطرح فى الاسواق الا كتب الثقافة الرخيصة وقصص الاجرام والمشاكل الجنسية . وكل الكتابات ذات النزعة الاستعمارية .

واخذ البوليس يقتنص بعض المواطنين من الشوارع . ويفرض على البعض الاخر رقابة صارمة ، وازداد عدد الجواسيس . و انبثوا فى كل مكان ، واستبيحت دور العلم للبوليس الذى اخذ ينتزع الطلاب من كراسى الدراسة ، ويلقيهم فى غياهب السجن . او يحرمهم من اكمال التعليم .

ولم يعد الانسان .. اى انسان فى مأمن من الموت غيلة بعد ان اصبح البوليس يطارد المواطنين ، ويطلق الرصاص عليهم . ويغتال من يريد اغتياله دون خوف من قانون .

وكان كل اجتماع مهما يكون صغيرا يفض بقوة الرصاص . وينكل بالمجتمعين تنكيلا بشعا ، وفتحت السجون والمواقف ابوابها لنزلاء كثر ، وارسل مواطنون للمنافى فى نقرة السلمان . وعين تمر . وبدرة .. وساد حكم ارهابى مقيت لا يحترم شريعة . ولا يعترف بقانون .



## الفصل السادس

# حلف بغداد

يكن نورى السعيد لتركيا حبا عميقا منذ أن اخذت تساهم فى المشروعات الاستعمارية لتهديد الاتحاد السوفياتى .

ومع أن لتركيا تاريخا أسود فى العراق ، ومذابح لاتحصى ، وأطماعا معروفة فى لواء الموصل فان نورى السعيد نسى هذا كله حين اراد له الاستعمار أن ينسى .

وفى عام ١٩٣٦ اشترك العراق مع تركيا فى ميثاق سعد آباد . . أول ميثاق عدوانى . وبعد عشر سنين من انعقاده عادت عواطف نورى السعيد نحو تركيا الى الاشتداد . وكان ذلك بعد نهاية الحرب بعام . وفى نفس الوقت الذى فكر المستعمرون فى الاحلاف ، وسعوا لتحقيقها .

وفى عام ١٩٤٦ سافر نورى السعيد الى تركيا موفدا من قبل وزارة توفيق السويدى التى فوضت اليه أمر اجراء مباحثات دون البت فيها . غير أن نورى تخطى ــ على عادته ــ حدود التفويض ، وتوصل الى معاهدة مع تركيا فرضت على مجلس الوزراء فرضا ، وأصبحت تركيا بموجبها « الجارة العزيزة » التى تشترك مع العراق فى تاريخ واحد . . أى تاريخ ! ! . .

وكانت هذه المعاهدة بداية لاشراك تركيا فى الجامعة العربية ، وربطها بمصير واحد تهيئة لكل مشروع يطرح فى المستقبل بخصوص الدفاع عن الشرق الاوسط كله . وفى المعاهدة كذلك اشارة الى المصالح المشتركة فى الدفاع ، والى التدابير الموحدة للمحافظة على « الامن الداخلى » وتبادل الافراد غير المرغوب فيهم ، وما الى ذلك

من أمور تنسيق الاعمال ضد الثورات الداخلية ومن أجل تمهيد السبيل للدخول فى احلاف أوسع نطاقا .

وبدا تقرب ملحوظ الى تركيا يشتد كلما ساهمت « الجارة العزيزة » فى مشروع جديد من مشاريع الحرب الاستعمارية .

وبعد أن أبرم الاتفاق التركى ـ الباكستانى فى ٢ ابريل ١٩٥٤ اخذت تركيا تتردد كثيرا على لسان الجمالى رئيس الوزراء الحالى . واريقت على عتبة محبتها عواطف الحكام العراقيين بفزارة . . . ان الجمالى بالرغم من هذا كله فشل فى تقريب تركيا الى نفوس العراقيين . وعورض معارضة شديدة فى ربط العراق بالاتفاق الثنائى المعقود بين تركيا والباكستان فترك الامر لنورى السعيد .

وعندما جاء نورى السعيد الى الحكم أشار فى أول خطاب ترسله للملك الى توثيق علاقات الاخوة مع جيران العراق . والى حلف تركيا ـ باكستان بالذات كنموذج لما يطمع فيه من العلاقات الدولية .

وهكذا اتضح منذ البداية مايريد أن يقوم به نورى السعيد بالاشتراك مع تركيا لنصرة القضية التى طرحها الاستعمار منذ نهاية الحرب . . وهى قضية الاحلاف العسكرية .

وبعد خمسة أشهر من مجىء نورى السعيد الى الحكم قام عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا بزيارة الى بغداد . واتفق مع نورى السعيد على خطوط مشروع لحلف عسكرى يعرض على البلاد العربية كلها للانضمام اليه . وبعد أن أنهى مندريس مباحثاته فى بغداد زار دمشق وبيروت ، وتباحث مع الحكومتين السورية واللبنانية مباحثات غير رسمية وصاحب زيارة مندريس ضغط امريكى على الدول العربية لتأييده فى مسعاه .

وقد تحدث صبرى العسلى رئيس وزراء سوريا بعد ذلك عن مباحثات مندريس والضغط الامريكى بصراحة . وذكر فى المجلس النيابى محاولات تركيا لجر سوريا الى الاحلاف ، وأشار الى أن أمريكا ـ كما قال له السفير الامريكى فى تركيا ـ لم تعد تثق بالجامعة ، ولم تعد تعتبرها اداة لتنظيم العلاقات بين دول المنطقة وأن الحالة الدولية

تتطلب التفكير فى ايجاد منظمة اكثر صلاحية من الجامعة العربيةتقوم بعبء الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط الحيوية بالنسبة للامريكيين

غير ان مساعى مندريس وامريكا لم تأت بأى نجاح، وجوبهت زيارة مندريس بسخط واسع النطاق من الشعوب العربية ، ومن اغلب حكوماتها . وانعقد على أثر ذلك مؤتمرفى القاهرة ضم رؤساء الدول العربية ــ وتغيب عنه نورى السعيدتخلصا من الفضيحة والاحراج ــ وقامت مصر بدوررائع فى فضح الاحلاف ، والدعوة الى عدم الاشتراك فيها ، ووقفت المملكة العربية السعودية الى جانبها ، وانتهى المؤتمر بتوجيه ضربة شديدة الى سياسة الاحلاف .

غير ان نورى السعيد لم يعبأ بهذا كله ، ودعى مندريس ثانية الى بغداد فجاء هذا بخفاء تام ، واحيط بحراسة شديدة جدا ، وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ وقعت وثيقة حلف بغداد التى اذيعت من بغداد وانقرة بعد يومين .

وبموجب المادة الخامسة من الحلف التى نصت على ان يكون « الميثاق مفتوحا للانضمام اليه من قبل اية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التى يهمها أمر السلم والامن فى هذه المنطقة بصورة فعالة ، والمعترف بها اعترافا كاملا من كلا الفريقين الساميين المتعاقدين .. ولأية دولة منضمة الى هذا الميثاق ان تعقد اتفاقيات خاصة مع دولة او اكثر من الدول الاطراف فى هذا الميثاق » سارعت بريطانيا بالانضمام الى الحلف ، ونظمت علاقاتها مع العراق بمعاهدة صارمة سميت بالاتفاق الخاص حلت محل معاهدة ١٩٣٠ .

وكان نورى السعيد بين آونة واخرى يدعو مجلس نوابه للاجتماع ويعرض عليه قسما من اتفاقياته ، ويأمره بالمصادقة عليها بصورة مستعجلة .

وعلى هذه الشاكلة انعقدت « جلسة مجلس الامة التاريخية ! ! » حيث ايد النواب والاعيان سياسة نورى السعيد الرامية الى عقد حلف صداقة ودفاع مع « الجارة العزيزة تركيا » دون أن يعرض

على المجلس نص مكتوب لاتفاقية معينة . وعقد المجلس جلسة أخرى لابرام الحلف ولم توزع نصوصه على الحاضرين . واكتفى بقراءتها . وامهلوا عشرة دقائق لمناقشتها . ولم يعرض – كما يقول النائب العراقي توفيق المختار – الاتفاق الخاص بين بريطانيا والعراق . ولا المذكرتان اللتان تقدم بهما نوري السعيد الى بريطانيا . والجوابان اللذان تلقاهما من ممثل بريطانيا . .

وبذلك تم مشروع من اكبر المشاريع الاستعماريه . وعقدت اتفاقية خاصة تعتبر من اثقل المعاهدات .

* * *

## الفصل السابع

# حلف بغداد فى مجلس العموم البريطانى

الاشياء التى قيلت عن حلف بغداد كثيرة ، وقد اصبحت واضحة لكل انسان اهداف الحلف العدوانية ، وضرره بالاستقلال الوطنى ، وخطره على الحركات التحررية فى الشرق الاوسط ، وتعريض سلامة شعوبه لخطر الحرب الذرية . ولا اريد أن اطيل بتفنيد مراميه « الرسمية » وادعاءاته فى الدفاع . واكتفى بأن اعرض طرفا مما دار فى مجلس العموم البريطانى بصدد مناقشة هذا الحلف . . فقد تحدث المسؤولون الانجليز بكثير من الصراحة ، ومن اقوالهم نستطيع أن نضع على الحروف نقاطا اكثر من تلك التى يضعها حكام بلاد حلف بغداد « المسلمون » :

فى ٤ ابريل ١٩٥٥ عقد مجلس العموم البريطانى جلسة للموافقة على انضمام بريطانيا الى الميثاق التركى العراقى « حلف بغداد » .

وفى البداية تحدث انتونى ناتنج وزير الدولة للشؤون الخارجية فشرح سياسة الحكومة البريطانية فى الشرق الاوسط بقوله (١)

« كانت السياسة البريطانية فى الشرق الاوسط ترمى منذ أمد طويل الى تأسيس وسائل دفاعية فعالة لتلك المنطقة والمحافظة عليها . . وكانت هذه الحاجة تقررها فى الماضى الحقائق الجغرافية البسيطة والاعتبارات الاستراتيجية فقط . اما الآن فان استثمار

---

(١) ترجم الاستاذ حسن الدجيلى جميع مناقشات مجلس العموم عن حلف بغداد فى كتابه « ميثاق بغداد » .

ونحن فى الوقت الذى ننقل منه هذه الاقتباسات لايغيب عن ذهننا أن الاراء التى ابديت سواء من العمال أو المحافظين تلتقى فى نقطة واحدة هى الدفاع عن المصالح الاستعمارية البريطانية وتكشف اتجاه الاحزاب الحاكمة فيها .

منابع النفط قد اضاف عاملا مهما الى ضرورة تأمين وسائل د فاعية كافية وفعالة فى هذه المنطقة . وقد تبدلت ، فى الوقت نفسه ، الصورة الاستراتيجية والسياسية تبدلا عظيما . فظهرت فى ميدان الشرق الاوسط الحركات القومية كما ظهرت الاسلحة الذرية . وينبغى أن نحسب لهذين العاملين حسابا ، وان نكيف بموجبهما خططنا . وهذا مافعلناه فى اتفاقنا الجديد مع العراق وانضمامنا الى « الميثاق التركى العراقى » . ان حاجتنا الاستراتيجية اليوم تدور حول محافظة وتعزيز الجناح الايمن المتطرف « لمنظمة حلف شمالى الاطلسى » N. A .T O. ( ناتو ) . هذا من ناحية ، أما من الناحية الثانية فان تبدل الاوضاع السياسية يتطلب قيام تنظيماتنا الدفاعية على أساس المشاركة مع دول ذات سيادة ، وعلى قدم المساواة .

وكما هو معلوم لدى المجلس أن معاهدة سنة ١٩٣٠ على وشك الانتهاء ، وأن مفعولها سينتهى بعد مضى ثمانية عشر شهرا . وبدلا من انتظار موعد انتهائها قررت حكومة صاحبة الجلالة أن تستغل الفرصة التى أتاحها « الميثاق التركى العراقى » لنقيم علاقاتنا مع العراق على نطاق اوسع . وآمل ان يدرك المجلس الحكمة المتأتية من اتخاذ هذه الخطوة .

ان الوحدة يمكن أن تنمو ولا يمكن أن تفرض . ويصح هذا القول نفسه على أقطار الشرق الاوسط . وهذا ما آلت اليه حقا تجربتنا الفاشلة حول مشروع عام ١٩٥١ العقيم لتأليف « منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط » . ولا تستطيع حكومة فى هذه البلاد ، وهذا الدرس عالق فى الاذهان ، الا ان تدرك أهمية ومغزى الحركة التلقائية التى قامت بها كل من تركية والعراق لتوحيد مساعيهما من أجل دفاعهما المتبادل .

ان مصلحتنا الاساسية تقتضى ، اقول ذلك وانا متأكد مما اقول ، ان نشجع قيام هذا المسعى من قبل احد شركائنا فى منظمة « الناتو » ، ومن قبل احد حلفائنا القدامى فى العالم العربى . وعليه فان فرصة كهذه ينبغى الا تفلت من يدينا ، كما ان هذا هو الوقت المناسب لتقيم

بريطانيا تنظيماتها الدفاعية مع العراق على اساس جديد ، وتؤيد انضمامه الى « الميثاق » تأييدا تاما ، آملين أن تنمو وتنتشر هذه القوة والوحدة الجديدة ، وتتناول بعد ذلك اقطارا أخرى فى منطقة الشرق الاوسط .

أن هذا التنظيم الجديد وان كان مهما فى شكله الحاضر الا انه من الممكن ان يؤدى الى تكوين منظمة دفاعية أوسع ، ويحقق بالتالى الى الشرق الاوسط كله سلامة اوسع وأعظم . وليس فى هذا « الميثاق » مايهدد أو يضعف أو يقلق أية دولة من دول الشرق الاوسط . وليس موجها ضد اى احد فى المنطقة ، ولا الى اية دولة أو مجموعة من الدول . انه والحق يقال يحترم استقلال جميع الاقطار ويقدم تعهدا معينا لاية دولة تود الانضمام اليه .

وتنص المادة الثالثة من الميثاق بصورة خاصة على ان الفريقين المتعاقدين سيمتنعان عن التدخل بأى شكل من الاشكال فى الشئون الداخلية لاحدهما الآخر . وهذا الضمان والتعهد لاينحصر تطبيقهما على الفريقين الاصليين للميثاق بل يتعدى ذلك الى الدول المنضمة كافة

وفى الظروف الحاضرة ليست اسرائيل فى وضع يساعدها على الانضمام الى « الميثاق » . اذ أن المادة الخامسة منه تجعل «الميثاق» مفتوحا لانضمام « اى دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التى يهمها امر السلم والامن فى هذه المنطقة بصورة فعالة والمعترف بها اعترافا كاملا من كلا الفريقين الساميين المتعاقدين » .

ان التعهد بالامتناع عن التدخل فى الشئون الداخلية لاينطبق اذن ، كما نصت المادة الثالثة ، الا على الدول التى يساعدها مركزها على الانضمام الى « الميثاق » ولكننى اعتقد ، وهذا هو اعتقاد حكومة صاحبة الجلالة ، ان « الميثاق » والتنظيمات المنبثقة عنه سيحقق ، كما سأوضح ذلك فى معرض كلامى ، امنا اعظم الى جميع دول الشرق الاوسط بما فى ذلك اسرائيل .

ولا شىء يبدل ، بموجب هذه التنظيمات وبأى شكل من الاشكال ، موقف حكومة صاحبة الجلالة او مسئولياتها او التزاماتها التى نص

عليها ، التصريح الثلاثي . وهــذا ماقصدته حينمــا قلت ان هــذا « الميثاق » وهذه التنظيمات لاتتعارض مطلقا مع مصالح اسرائيــل . ولا تهدد اية دولة ـ اسرائيل او اية دولة اخرى فى المنطقة .

وقبل ان انتهى من بحث الميثاق التركى العراقى نفســه أود ان استرعى الانتباه الى مانصت عليه المادة الســادسة حول « المجلس الوزارى الدائم » الذى سيتم تاليفه عندما يصبح عدد أعضاء الدول المنضمة الى « الميثاق » لايقل عن اربعة أعضاء ، والذى سيكون على غرار المجالس المنصوص عليها فى تنظيماتنا الدفاعيــة مع دول حلف شمالى الاطلسى ( الناتو ) واتحاد غربى أوربة ومنظمة الدفاع عن أقطار جنوب شرقى آسيا . وسيتكون بموجب هذه المادة جهاز ادارى دائم يتولى اعادة النظر فى اعمال منظماتنا الدفاعيــة المشتركة وتنســيق سياساتنا بين حين وآخر .

والآن دعونى اتناول الملامح الرئيسية « للاتفاق الخاص » المعقود بين المملكة المتحدة والعراق والكتب الملحقة به . فمنذ ان القى معالى زميلى المحترم بيانه فى مجلس العموم فى اليوم الثلاثين من شهر مارس الماضى صادق مجلس النواب العراقى على « الميثاق » بطريقة تعيين الاسماء وسيصبح نافذ المفعول غدا حينما تودع وثائق انضمام المملكة المتحدة فى بغداد . ولن أعيد ماقاله معالى زميلى المحترم حول « الميثاق الخاص » أثناء المناقشة التى دارت فى الاسبوع الماضى . ولكن المجلس قد يهمه ان يعرف كيف ان التنظيمات الجديدة ستحقق مطالبنا فى وضع سياسى واستراتيجى أصابه تبدل جوهرى كبير منذ عام ١٩٣٠ »

واعقب ناتنج متحدثون كثيرون علق بعدهم النــائب العمــالى « كروسمان » فقــال ردا على احد النواب المحــافظين : « استطيع ان افهم ماقاله النائب المحترم حول نقطة واحدة معينة وهى اننا اذا اردنا ان نترك كل شىء للامم المتحدة فلن تكون لدينا سياسة فى الشرق الاوسط . ولكننى لا استطيع ان أؤيده من ان هذا « الميثاق » سيكون نقطة انطلاق فى حل مشاكل العــالمين العربى واليهودى ، وارى لزاما على ان ابين فى ان حقيقة الامر هى خــلاف ماذهب اليه ؛ فالميثــاق يزيد فى صعوبات حل هذه المشكلة .

وسأناقش « الميثاق » أولا من وجهة نظر العلاقات البريطانية مع العالم العربى والدفاع عن منطقة الشرق الاوسط . اننى مستغرب كيف ان احدا لم يذكر فى هذه المناقشة حتى الآن الحقيقة المهمة وهى ان هذا « الميثاق » الذى عزز مركزنا فى الشرق الاوسط كما يذهب البعض : قد شطر عمليا العالم العربى من أوله الى آخره . وربما استدعت الحكمة الا يذكر أحد مصر وعلاقات مصر بهذا « الميثاق » .

ويهمنى ان اسمع رأى وزير الخارجية عما سيكون عليه مستقبل جامعة الدول العربية ، التى هى احدى اعماله الاصيلة فى حقل التنظيم الدولى . لقد اقترح تأسيسها فى آخر سنة من سنوات الحرب العالمية الثانية . وقد انزل بها هذا « الميثاق » ضربة قاضية تقريبا . وأريد ان أسمع مايقال عن التبدل الذى طرا على سياسة بريطانية الخارجية الذى ادى الى هذا التفكير الاساسى الجديد ـ وهذا اقل مايقال فيه ـ حول علاقاتنا بالدول العربية .

« ان المعاهدة الاولى الميثاق التركى العراقى . كان ذلك قبل بضعة أسابيع . فقد تكلم جمال عبد الناصر بصراحة تامة حول الميثاق ، واعتقد ان وزير الخارجية يتفق معى أن وجهة نظر المصريين حول « الميثاق » تتصل على الاقل بموضوع هذه المناقشة كماتتصل وجهة نظر نورى السعيد . لقد قال جمال عبد الناصر ان نورى السعيد صنيعة البريطانيين منذ اكثر من عشرين أو خمس وعشرين سنة .

هنا قال انطونى ايدن معترضا : هذا تهجم ، وفى الوقت نفسه غير صحيح .

فأجاب مستر كروسمن : اننى انقل ماقيل . ومع احترامى العظيم لوزير الخارجية أود أن اشير الى ما قام به نورى السعيد فعلا . لقد أجرى انتخابات جديدة ، ولكنه مهد اليها بحل الاحزاب العراقية كافة . وقد صادق البرلمان العراقى الميثاق التركى العراقى بطريقة تعيين الاسماء ويتعذر على اى انسان أن يدعى أن مناقشة حقيقية قد جرت حول « الميثاق » . ينبغى أن ندرس الاختلاف

الموجود بين جمال عبد الناصر ونورى السعيد . فالاول قد جاء الى الحكم بعد أن قام بثورة ضد الاستعمار الغربى . واصبح الثانى فى الحكم لانه خدم الاستعمار الغربى بأمانة طيلة الخمس عشرة سنة الماضية .

**سير انطونى ايدن :** لقد انفق العراق . أكثر من اى قطر من اقطار الشرق الاوسط ، مبالغ كثيرة على مشاريع الاعمار بغية تحسين أحوال الشعب العراقى . وينبغى أن نقول . على ما أظن . ان صداقة رجل لهذه البلاد ليست سببا فى التهجم عليه .

**مستر كروسمن :** انا آسف ان ينتقل معالى المحترم الى موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى نحن بصدده . ان ماقلته ــ واعيد ما قلته ــ لا علاقة له بالاعمار مطلقا ، قلت ان كل واحد فى الشرق الاوسط يعرف أن نورى السعيد مرتبط بالغرب . وعليه فان توقيعه على قصاصة ورق اخرى لايغير فى الموضوع قيد شعرة . لقد اخمد صوت العراق ، وأظهر عدد كبير من العراقيين معارضتهم للتحالف مع الغرب ، ومعنى هذا أن هناك درجة من القلق والاضطراب تحيط الميثاق المذكور . لاتدعونا نبالغ فى قيمة هذا النجاح الدبلوماسى الجبار .

انى فى الحقيقة لا الوم وزير الخارجية على عقد هذا « الميثاق » اذ هو لم يعن بعقده كثيرا . ولم يستند الى مبادءة بريطانية ، بل الى أمريكية ، والشخص الذى ينبغى أن ينال هذه التهانى بجدارة هو مستر دالاس . فهذا عمله الثانى فى الشرق الاوسط . ان معالى زميلى المحترم نائب جنوب لويشام ( مستر هربرت موريسون ) يضحك حول ما أقول . .

**مستر موريسون :** لم اضحك وما كنت لاعمل شيئا .

**مستر كروسمن :** اظن انى سمعت وزير الخارجية يقول ، « هذا مضحك . . هل يستطيع ان ينكر أن الخطة الامريكية ترمى ، وليست هى خطة غير معقولة ، الى ايجاد تحالف يربط اليونان وتركيا وايران وباكستان والعراق ، وأن هذه الخطة تلتقى مع خطة البريطانيين الذين عليهم أن يقيموا علاقاتهم مع مصر على اساس من الصداقة ؟

وعليه فان الرجل الذى نال ما يريد هو ؛ فى الاعم الاغلب ، وزير خارجية امريكا : ان الامريكيين يعتقدون ، اكثر مما يعتقد البريطانيون، بتقديم هذا النوع من المساعدة العسكرية المباشرة الى الدول العربية . ويعلم وزير الخارجية حق العلم ان الامريكيين يقدمون هذه المساعدات بسخاء عظيم . لقد قيل لى ان أربع فرق عسكرية ستكون فى العراق بموجب هذه الاتفاقية ، وانها ستؤلف نواة ذلك الجيش العظيم الذى سيدافع عن الشرق الاوسط ضد الهجوم الروسى .

وآمل أن تساور وزير الخارجية ما يساورنى من شكوك اذا كان يخيل اليه ان أول هدف يسعى اليه جيش عربى هو الدفاع عن الشرق الاوسط ضد روسيا . ان كل من يعرف الشرق الاوسط يدرك جيدا انه فى حالة وقوع هجوم روسى فان العراق سيعقد الصلح مع روسية بأسرع وقت ممكن . واننى لا الومه . فهو لا يحلم أن يستخدم جيشه لتحقيق هذا الفرض الخطير ، بل يريده لغرض واحد ، وواحد فقط ؛ هذا الفرض هو استخدامه فى الجولة الثانية ضد اسرائيل وعلينا ان نعرف جميعا ان تغاضينا عن هذا « الميثاق » وتسترنا عليه معناه تغاضينا عن جيش يستخدمه العراق ، اذا ما استخدمه، وأرجو الا يستخدمه ؛ فى الجولة الثانية ضد اسرائيل .

ثم تساءل **مستر كروسمان** قليلا : هل حقيقة ان سيطرة بريطانية على العراق ستكون فى المستقبل اشد من سيطرتها على الاردن اليوم؟ اننى لفى دهشة واستغراب . فالعراقيون لا يحبون ان يسمعوا كثيرا ان الاستعمار البريطانى يريد أن يفرض وجوده ثانية هناك .

فرد عليه **مستر فريزر** بقوله : لو تصفح حضرة النائب المحترم جريدة « المانشستر جارديان » اليومية لاداعى للانجليز اذا ماساعد الحظ على اقتناء نسخة منها ــ لتوصل الى ان نفوذ بريطانية فى هذه الامور قد يكون اعظم مما كان . ومن البديهى اننا حين نبرم ميثاقا عسكريا ، باعتبارنا حلفاء ، فان منزلتنا هذه تكون اكثر قوة من بقائنا كدولة لم تزل تحتفظ بحماية على البلاد آنذاك .

اعتقد اننا عدنا الى الشرق الاوسط من حيث الاساس لضمان

المصلحتين المزدوجتين اللتين كانتا موضع اهتمام سياسة بريطانيا الخارجية هناك — الاولى صيانة المنطقة من هجوم خارجي . والثانية وبقدر المستطاع ، صيانة الامن الداخلى . واعتقد ان هذا الميثاق يحقق لدرجة كبيرة هاتين الغايتين . فمن ناحية خارجية ، من ناحية منطقة الشرق الاوسط كلها ، وفى نطاق هذه المنطقة ادخل اسرائيل والباكستان . يصبح وجود منطقة امن فى العراق ذات فائدة . واعتقد أنه كلما كانت المناطق اكبر واوسع كانت الفائدة المتاتية الى المنطقة كلها أعم . وأن « الميثاق » و « الاتفاق الخاص » سيعودان على المنطقة بالفائدة . وسيعود « الميثاق » ايضا بالفائدة على الامن الداخلى فى العراق .

واهم من هذا كله ان لبريطانيا مصالح خاصة فى العراق . ولهذا السبب نهب لحماية هذه البلاد من العدوان ، ونعقد معها معاهدة . والمعاهدات لا تعقد جزافا . ومواثيق التعاون المتبادل لا تعقد الا اذا انطوت على فوائد حقيقية . وبغض النظر عن مسألة الشرق الاوسط وبغض النظر عن السد الشمالى ، فان هذه المنطقة على جانب عظيم من الاهمية والغنى ، وهى احدى المناطق القليلة فى العالم حيث تفيض الموارد الطبيعية على السكان بدلا من فيض السكان على هذه الموارد . وفيها من الامكانيات مايكفى لزراعة ٢٠ مليون ايكر ، وفيها من السكان خمسة ملايين نسمة ، وفيها من الاراضى الزراعية ما مساحته ٨ر٥ ملايين ايكر تقريبا . وفيها امكانيات هائلة من النفط والموارد الاخرى .

هاهنا منطقة تعد فى مواردها الطبيعية اغنى من ولاية تكساس ويمكن تطويرها ، ولنا فيها مصلحة . ها هنا منطقة تقع على رأس الخليج الفارسى الذى نحتفظ به حتى الآن بمناطق نفوذ مهمة . وامامنا « ميثاق » يمكن أن يعود على منطقة الشرق الاوسط كلها بالفائدة وذلك ليساعد على توطيد الامن فيها ، ميثاق يمكن أن يعود بالنفع على الذين لا يريدون أن يكونوا هناك سادة على النخيل والصنوبر بل حلفاء على قدم المساواة ، ميثاق سيعود على الشعب العراقى بنفع حقيقى ، وسيساعد على توثيق علاقاتنا السلمية مع هذا الجزء الغنى المهم من العالم » .

**وتحدث سير انطونى ايدن بعد ذلك فقال :** لعل من الافضل ان ابدأ بالاجابة عن سؤالين طويلين وجها الى قبل ان اتطرق الى الاسس العامة التى يستند اليها « الميثاق » .

قبل أيام سألنى حضرة الزميل المحترم نائب هورشام : عما اذا كانت الاتفاقية تؤثر بشكل من الاشكال على استقلال الكويت، ويسرنى ان أقول انها لا تؤثر ، واطمئنه أن الاتفاق الجديد مع العراق لا يتناول بأى حال من الاحوال مسئولياتنا الخاصة تجاه الكويت والدول الاخرى الواقعة على الخليج الفارسى . هذا جواب أحد الاسئلة اذكره على سبيل التمهيد .

والآن أتناول مناقشة الموضوع الاساسى المطروح امامكم مساء هذا اليوم . مما أثار استغرابى قليلا ، وهذا ما ينبغى التصريح به ، ان الاهمية الاستراتيجية المنبثقة عن ارتباطنا بتركيا فى هذه المنطقة المهمة من العالم لم تنل الا عناية قليلة جدا ، ان بعض حضرات النواب ويقينا أحد النواب ، قد أشار الى تضاؤل نفوذنا وضعف مركزنا . ينبغى ان أقول اننى لا انظر الى مركزنا بهذه الصورة ، هذا المركز الذى يجمع بيننا وبين تركيا فى هذه المنطقة الاستراتيجية المهمة من شمال العراق .

ويبدو أن هذا التنظيم طالما رغب فى تحقيقه أكثر رؤساء أركان حرب الجيوش الامبراطورية منذ زمن طويل ، كما يعلم معالى النائب المحترم ، لاعتقادهم أن هذه المنطقة هى احسن مركز للدفاع عن منطقة الشرق الاوسط من منطقة قنال السويس مثلا . ولهذا فان موقف مصر ما زال يثير حيرتى نوعا ما . وقد كنت أظن أن وجهة النظر المصرية ، على افتراض انها مقبولة . وكما هو مقبول بصورة عامة ان مصر صديقة الغرب وهى مع الغرب ، تذهب الى انه كلما انتقلنا بعيدا الى الشمال وكان الدفاع الرئيسى اقرب الى جبال طوروس كان ذلك أجدى الى مصر .

وكما نفضل ان يكون الدفاع عن الجزر البريطانية على نهر الالب بدلا من نهر الراين ، وعلى الراين بدلا من القنال الانكليزى فقد كنت

اتصور أن الامر نفسه ينطبق على منطقة الشرق الاوسط كل الانطباق، وينطبق على اسرائيل . **وبغض النظر عن المتاعب الداخلية التى تعانيها المنطقة ، ودرجة خطورتها فالدفاع عنها هو فى مصلحة اسرائيل كما هو فى مصلحتنا ، أو فى مصلحة العراق ، أو أى قطر آخر هناك .**

وكذلك كلما انتقلت حماية هذه المنطقة الى الشمال كان ذلك اجدى لسكانها . ومنذ سنوات طويلة ـ منذ مطلع حياة اسرائيل ـ كانت تركيا صديقة حميمة لها ، وليس بمتصور ابدا ان تنضم فى الحقيقة الى تنظيمات دفاعية ليست ودية ولا مرضية لاسرائيل . وحينما نحلل ونناقش الاحوال الداخلية لمنطقة الشرق الاوسط من المهم أن نتذكر ان هذا « الميثاق » يساعد فى الدفاع عن المنطقة كلها ازاء تهديد عظيم تتعرض له . وكنت اظن ان كل واحد فى المنطقة سيقابل « الميثاق » بالترحاب .

واذا جاز لى القول ، فأود ان ابين أن مساهمتنا فى تنظيمات الدفاع عن منطقة من المناطق لا ترمى الى اثارة الحد الاعلى من المتاعب لسكان تلك المنطقة ، كما يحاول أن يدعى بعض الناقدين . ولا اظن ان احدا منا يذهب هذا المذهب حقا الا حضرة المحترم نائب شرق كو فنترى ( مستر كروسمان ) الذى يبدو مقتنعا اننى اعظم خلاق للمتاعب فى جميع الشرق الاوسط ـ أقصد الحكومة . اننا لم ننضم الى هذا « الميثاق » لنشجع تكوين أسوأ العلاقات بين العراق واسرائيل ، ولا أعتقد أن حضرة النائب المحترم ، لو رجع الى قرارة نفسه ، يستطيع أن يعتقد نفسه بذلك . لقد كان كلامه مساء هذا اليوم يدور كله حول نقطة واحدة وهى أن انضمامنا الى « الميثاق » يجعل العلاقات بين العراق واسرائيل أسوأ مما يمكن أن تكون عليه .

أعتقد اننا ينبغى أن نحاول توفير درجة توازن معقول فى هذا الموضوع . ان الهدف الذى نتوخاه من الانضمام الى هذا « الميثاق » بسيط جدا . **فبانضمامنا عززنا نفوذنا ورفعنا صوتنا فى شئون الشرق الاوسط .** اننى أومن ببلادى مهما كان نوع حكومتها . ان الغرض الذى ترمى اليه حكومتى هو بعث جو من السكينة والاطمئنان

وتخفيف حدة التوتر العالمى . اننى اوافق على اى تنظيم يؤدى الى زيادة نفوذ بلادى .

فى احدى الصحف التى نقرؤها الآن وجدت هذه العبارة :

**« وبعملها السريع فى الانضمام الى التحالف الجديد حققت بريطانيا لنفسها صوتا متواصلا فى شئون الشرق الاوسط .. »**

هذه العبارة تعرب تماما عن غرضنا فى الانضمام الى الميثاق التركى العراقى ، ولا ارى حاجة لزيادة فى الايضاح الا من اجل توضيح نقطة اخرى . وهى أن انضمامنا لا يخفى وراءه دوافع اخرى ولانوايا شريرة باى شكل من الاشكال ، وكما يحدث فى العلاقات الدولية عادة يذهب الناس مذاهب شتى . فلا يعتقدون ان الدوافع التى حدثناهى الدوافع التى ندرك نحن انفسنا ماهيتها » .

وبعد ان انهى ايدن خطابه وافق المجلس على الانضمام الى حلف بغداد وصادق على « الاتفاق الخاص » بين العراق وبريطانيا .

## نص حلف بغداد

لما كانت علاقات الصداقة والاخوة السائدة بين العراق وتركيا فى نمو مطرد ، واستكمالا لما جاء فى معاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين حضرة صاحب الجلالة ملك العراق وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية التركية الموقع عليها فى انقرة فى ٢٩ آذار سنة ١٩٤٦ التى اقرت ان السلم والامن بين البلدين جزء لا يتجزأ من السلم والامن لشعوب العالم وخاصة شعوب الشرق الاوسط واساسا لسياستها الخارجية .

ولما كانت المادة الحادية عشرة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية تنص على ان ليس فى احكامها ما يمس او يقصد به ان يمس باية حال من الاحوال الحقوق والالتزامات

المترتبة او التى قد تترتب للدول الاطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الامم المتحدة .

ونظرا لادراكهما عظم المسئولية الملقاة على عاتقهما بوصفهما عضوين فى هيئة الامم المتحدة يهمهما استتباب الامن والسلم فى منطقة الشرق الاوسط مما يوجب اتخاذ التدابير اللازمة لذلك وفقا لاحكام المادة «٥١» من ميثاق الامم المتحدة .

فقد اقتنعا بضرورة عقد ميثاق يحقق هذه الاهداف . وعينا لهذا الفرض مندوبين مفوضين .

عن حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى ملك العراق .

صاحب الفخامة السيد نورى السعيد رئيس الوزراء

صاحب المعالى السيد برهان الدين باش اعيان وكيل وزير الخارجية

عن حضرة صاحب الفخامة جلال بايار رئيس الجمهورية التركية

صاحب الفخامة عدنان مندريس رئيس الوزراء

صاحب المعالى البروفسور فؤاد كوبرولو وزير الخارجية

الذين بعد أن قدم كل منهم اوراق تفويضه الى الآخر فوجدها صحيحة ومطابقة للاصول اتفقوا على ما يلى :

## المادة الاولى

يتعاون الفريقان الساميان المتعاقدان لفرض صيانة سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقا لاحكام المادة «٥١» من ميثاق الامم المتحدة، ويجوز أن تثبت التدابير التى يتفقان على اتخاذها لجعل هذا التعاون نافذا باتفاقات خاصة تعقد بين احدهما والآخر .

## المادة الثانية

لفرض تحقيق التعاون المنصوص عليه فى المادة الاولى أعلاه والعمل على تأمينه ، تقوم السلطة المختصة لكل من الفريقين الساميين المتعاقدين بتحديد التدابير التى ينبغى اتخاذها عند وضع هذا

الميثاق حيز التنفيذ . وتصبح هذه التدابير معمولا بها حال اقترانهـا بمصادقة حكومتى الفريقين الساميين المتعاقدين .

## المادة الثالثة

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بالامتناع عن التدخل بأى شكل من الاشكال ، فى الشئون الداخلية لاحدهما الاخرى ويقومان بفض اى نزاع بينهما بالطريقة السلمية ، وفقا لميثاق هيئة الامم المتحدة .

## المادة الرابعة

يؤكد الفريقان الساميان المتعاقدان ان ليس فى احكام هذا الميثاق ما يتناقض والالتزامات الدولية التى يرتبط بهـا أحدهما مع دولة او دول ثالثة ، كما انها لايمكن ان تخل أو تفسر بما يفهم منه الاخلال بتلك الالتزامات الدولية . ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن لا يدخلا فى اية التزامات دولية تتعارض وهذا الميثاق .

## المادة الخامسة

يكون هذا الميثاق مفتوحا للانضمام اليه من قبل اية دولة من دول الجامعة العربية وغيرها من الدول التى يهمها امر السلم والامن فى هذه المنطقة بصورة فعالة والمعترف بها اعترافا كاملا من كلا الفريقين الساميين المتعاقدين . ويصبح هذا الانضمام نافذا اعتبارا من تاريخ ايداع وثائق انضمام الدولة التى يخصها الامر لدى وزارة الخارجية العراقية .

لاية دولة منضمة الى هذا الميثاق ان تعقد اتفاقات خاصة بموجب المادة الاولى منه مع دولة او اكثر من الدول الاطراف فى هذا الميثاق . وللسلطة المختصة لاية دولة منضمة ان تحدد التدابير بموجب المادة الثانية ، وتصبح هذه التدابير معمولا بها حالة اقترانها بمصادقة حكومات الفرقاء الذين يخصهم الامر .

## المادة السادسة

يشكل مجلس دائم من الوزراء للعمل ضمن نطاق اهداف هذا

الميثاق وذلك عندما يبلغ عدد الدول الاطراف فى هذا الميثاق مثلا يقل عن الاربعة . ويقوم المجلس بوضع نظامه الداخلى .

## المادة السابعة

يكون هذا الميثاق نافذا لمدة خمس سنوات ، ويعتبر مجددا لمدد اخرى كل منها خمس سنوات . ولاى طرف متعاقد أن ينسحب بابلاغ الاطراف الاخرى تحريريا برغبته فى ذلك قبل ستة أشهر من انتهاء اية مدة من المدد المذكورة أعلاه . ويبقى الميثاق فى هذه الحالة نافذا بالنسبة للاطراف الاخرى .

## المادة الثامنة

يتم ابرام هذا الميثاق من قبل كل من الفريقين الساميين المتعاقدين ويجرى تبادل وثائق الابرام فى انقرة بأسرع ما يمكن ، ويعتبر نافذا من تاريخ تبادل وثائق الابرام .

كتب بنسختين فى بغداد فى اليوم الثانى من شهر رجب سنة ١٣٧٤ الهجرية الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٥٥ الميلادية باللغات العربية والتركية والانكليزية ، ويكون النص الانكليزى هو المعول عليه فى حالة الاختلاف .

* * *

## الفصل الثامن

# الاتفاق الخاص بين العراق وبريطانيا

ظلت معاهدة ۱۹۳۰ شوكة فى جسم السيادة الوطنية منذ اليوم الذى وقعت فيه . فقد أعطت للانجليز امتيــازات كثيرة ، وجعلتهم ينفذون الى كل أمر من امور الدولة ، واصبح العراق بموجبها « برج المراقبة البريطانية فى الشرق الاوسط » زهاء ربع قرن .

وقد لقيت هذه المعاهدة معارضة شـديدة من جانب الشــعب العراقى منذ اليوم الذى طلع بها نورى السعيد . فقامت فى طول البلاد وعرضها حركة سخط وغضب ، واضطر نورى السعيد أن يفرضها بالقوة ، وأن لايعبأ باجماع المواطنين على رفضها . وبموجب هــذه المعاهدة اصبح « الســفير البريطانى » يحكم العراق خلف ستار ، ويحرك دمى الحــكام على مسرح السياسة العراقيــة . وفى الحرب تحمل العراق قسطاكبيرا من التبعات ، فقد كانت الجيوش الانجليزية تعسكر بأعداد كبيرة فى كثير من انحائه ، وتحصل على امتيازات كثيرة ، وتنال بأجر زهيد جدا كل ماتنتجه الارض العراقية الطيبة . وتترك للشعب فضلات المحصول ، وتالف الثمار . وقد عانى الشعب العراقى فى تلك الايام السود الشيء الكثير من غــلاء فاحش الى نقص كبير فى الخبز والمواد الضرورية ، الى مزاحمة غير حرة فى محلات السكنى ، الى اعتداء متكرر على كرامته الوطنية ..

ولكن الشعب العراقى كان يأمل أن تنتهى الحرب بانتصار عظيم للديموقراطية ولحريات الشعوب ، وينزاح هــذا الظل الاســود عن سمائه المشرقة بعد الحرب مباشرة . غير أن الانجليز مضوا فى تشديد قبضتهم عليه وتــكالبوا محــاولين ان يتغلبوا على المد الثورى الذى

أعقب الحرب بتنظيم المذابح ، وتوسيع الحكم الدكتاتورى ، ومصادرة بقايا الحريات الديموقراطية .

وبعد عام واحد بداوا يفكرون فى تغيير معاهدات مابعد الحرب وعقد معاهدات جديدة تمليها الظروف الجديدة .. ظروف المد الثورى ، وقوة المعسكر الاشتراكى ، والتنافس على مناطق النفوذ بين الحلفاء الاستعماريين انفسهم .

وهكذا ولدت معاهدة بورتسموث كتنظيم جديد للنفوذ الانجليزى فى العراق وفق الظروف الجديدة .

غير ان الانجليز فشلوا على نحو ما رأيناه فى فصل سابق ، وازدادت معارضة الشعب العراقى لمعاهدة ١٩٣٠ ، واصبح الغاؤها فى رأس المطالب الشعبية .

وبالنسبة للانجليز لم تعد تلك المعاهدة صالحة بعد ان برزت الاحلاف للوجود ، واريد تطويق المعسكر الاشتراكى ، وتعزيز حماية النفوذ الاستعمارى من الشعور الوطنى الملتهب ، واصبحت معاهدة ١٩٣٠ تنتقد حتى من العملاء الرسميين للاستعمار البريطانى الذين كانوا يرونها غير ملائمة لان تكون أساسا للعلاقات بين العراق وبريطانيا

وفى عام ١٩٥٣ تألفت لجنة من نورى السعيد وجميل المدفعى وتوفيق السويدى وعلى جودت الايوبى وبعض الساسة رأت أن « معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا عندما عقدت كانت الظروف الدولية تستلزم نوعا من الاتساق والتوافق لمقتضياتها .. وأن الظروف والاحوال الدولية قد تبدلت تبدلا عميقا فى خلال ربع قرن .... وبالنظر لوضع العراق الجغرافى ، وأهمية موارده النفطية فى تموين الجيوش الحديثة مما يجعله هو ومجاوريه من البلاد المنتجة لهذه المادة مطمح انظار الدول الطامحة فيه ، ويضطره الى ايجاد وسائل خاصة لحفظ كيانه » واقترحت اللجنة شكلين من الارتباطات لتنفيذ معاهدة ١٩٣٠ كلاهما مر !

وعندما جاء نورى السعيد عام ١٩٥٤ وضع فى برنامجه الغاء

المعاهدة العراقية ، والدخول فى تنظيم جديد للنفوذ الاستعمارى . لاسيما وان هذه المعاهدة تنتهى فى نوفمبر ١٩٥٧ .

وهكذا توصل نورى السعيد مع الانجليز الى مايسمى « بالاتفاق الخاص بين بريطانيا والعراق » حل محل المعاهدة القديمة ، وبموجبه دخلت بريطانيا الى حلف بغداد .

وقد استطاع نورى السعيد أن يهرب هذا الاتفاق تهريبا ـ كما فعل فى حلف بغداد ـ واكتفى بقراءة مواد الاتفاق على المجلس النيابى دون توزيعه على الحاضرين ، ولم يعرض المذكرتين ولا الكتب المتبادلة الملحقة بالاتفاق . ولم يعط أى مجال للمناقشة لاى نائب يبدى بعض الاعتراض على هذا المشروع . وصادق مجلس الامة فى جلسة واحدة « على انضمام حكومة صاحبة الجلالة الى ميثاق التعاون المتبادل بين تركيا والعراق والاتفاق الخاص المعقود مع حكومة العراق .. » ! !

وانتهت معاهدة ١٩٣٠ بمعاهدة اشد جورا ، واكثر انتهاكا لسيادة العراق الوطنية .

ولم يناقش الاتفاق فى الصحف العراقية ، ولم تنشر الكتب المتبادلة ولا المذكرتان . فقد منع نورى السعيد الصحف من الخوض فيه ، ولم يتح أى مجال للساسة ولا للمواطنين العراقيين لابداء رأيهم فى هذا الموضوع الخطير .

ويمكن تلخيص نتائج الاتفاق على ضوء ما صرح به ناتنج فى مجلس العموم البريطانى بما يلى :

١ ـ اتاح الاتفاق تعاونا وثيقا بين العراق وبريطانيا فى حالة الدفاع والامن « ويشمل هذا التعاون اجراء التدريب المشترك وتوفير تلك التسهيلات الضرورية التى تتفق عليها الحكومتان المتعاقدتان » .

٢ ـ يتحمل العراق المسؤولية التامة عن أراضيه ، ويتولى حراسة جميع منشآت الدفاع فى العراق بما فى ذلك قاعدتى الحبانية والشعيبة . وتستخدم هاتان القاعدتان بصورة مشتركة من قبل القوات العراقية والانجليزية فى الدفاع المشترك .

٣ ـ الاحتفاظ بهيئة جوية ومدربين فنيين انجليز « لمساعدة القوات العراقية وتدريبها دون تحديد لسعة هذه الهيئة .

٤ ـ للطائرات البريطانية الحق فى زيارة العراق « لاجراء التمرينات المشتركة مع القوات الجوية العراقية **فى جميع الاوقات وتحت اشراف الهيئات البريطانية التى تعسكر هناك دائما .**

٥ ـ توفير تسهيلات المرور والترحيل القائمة واسداء الخدمات للطائرات الانجليزية المرابطة فى العراق .

٦ ـ التعاون فى تدريب الجيش العراقى وبذلك يمكن السيطرة عليه سيطرة تامة .

٧ ـ بقاء بعض متطلبات الدفاع والمنشآت التى ستحتاجها القوات البريطانية عند نشوب حرب عالمية فى حالة استمداد . ويتضمن ذلك تجديد المعدات وصيانة المنشآت . وفى ذلك ارهاق للميزانية العراقية .

٨ ـ الخبراء البريطانيون يتمتعون بما يتمتع به اعضاء منظمة حلف الاطلسى . **ويكونون تحت قيادة وادارة ضباط بريطانيين مسؤولين أمام الحكومة الانجليزية .**

## اتفاق خاص بين العراق والمملكة المتحدة

نظرا لعزم المملكة المتحدة على الانضمام الى ميثاق التعاون المتبادل بين العراق وتركيا المعقود فى بغداد فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ .

ولما كانت حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندة الشمالية وحكومة المملكة العراقية ترغبان فى عقد اتفاق خاص وفقا لنصوص المادة الاولى من الميثاق باعتبارهما شريكين فيه متساويين ومتمتعين بالسيادة الكاملة .

فقد اتفقا على ما يلى :

### المادة الاولى

تقوم الحكومتان المتعاقدتان بادامة وتنمية السلم والصداقة بين بلديهما وتتعاونان من اجل سلامتهما والدفاع عن كيانهما وفقا لميثاق التعاون المتبادل .

## المادة الثانيـة

تنتهى اعتبارا من تاريخ هذا الاتفاق معاهدة التحالف بين العراق وبريطانية العظمى الموقع عليها فى بغداد فى ٣٠ يونيو ١٩٣٠ مع الملاحق والكتب المتبادلة .

## المادة الثالثـة

لاتتحمل الحكومة العراقية بموجب هذا الاتفاق اية مسؤوليات خارج حدود العراق .

## المادة الرابعـة

تضطلع الحكومة العراقية بمسئولية الدفاع التامة عن العراق ، كما تتولى آمرية وحراسة جميع منشئات الدفاع فى العراق .

## المادة الخامسـة

وفقا للمادة الاولى من الميثاق يقوم تعاون وثيق بين السلطات المختصة لكلا الحكومتين للدفاع عن العراق ، ويشمل هذا التعاون وضع الخطط العسكرية والتدريب المشترك وكذلك توفير التسهيلات التى قد يتفق عليها بين الحكومتين المتعاقدين لهذا الفرض ولغاية جعل القوات المسلحة العراقية فى جميع الاحوال بحالة كفاءة واستعداد .

## المادة السادسة

بناء على طلب الحكومة العراقية تعمل حكومة المملكة المتحدة كل ما فى وسعها لاجل :

(١) تقديم المساعدة للعراق وذلك :

١ ــ بتأسيس وادامة قوة جوية عراقية فعالة وذلك عن طريق اجراء التدريب والتمارين المشتركة فى الشرق الاوسط .

٢ ــ بادامة المطارات والمنشئات الاخرى التى قد يتفق على ضرورتها بين وقت وآخر وتشغيلها بصورة فعالة .

(ب) الاشتراك مع الحكومة العراقية فى :

١ ــ تأسيس جهاز فعال للانذار ضد الغارات الجوية .

٢ ـ تامين حفظ الاجهزة اللازمة للدفاع عن العراق بحالة استعداد داخل الاراضى العراقية .

٣ ـ تدريب وتجهيز القوات العراقية للدفاع عن بلادها .

(ج) ان تقدم للعراق الافراد الفنيين من القوات البريطانية وذلك لغرض تنفيذ نصوص الفقرتين (أ) و (ب) من هذه المادة .

## المادة السابعة

تتمتع الطائرات العسكرية العائدة لكل من البلدين بتسهيلات المرور والترحيل داخل البلد الآخر .

## المادة الثامنة

فى حالة هجوم مسلح أو تهديد بهجوم مسلح على العراق تعتبره كلا الحكومتين المتعاقدتين خطرا على سلامة العراق تقدم حكومة المملكة المتحدة للحكومة العراقية بناء على طلب الاخيرة مساعدة تشمل عند الضرورة القوات المسلحة للمعاونة فى الدفاع عن العراق . وتقدم الحكومة العراقية جميع التسهيلات والمساعدات لجعل هذه المعاونة سريعة وفعالة .

## المادة التاسعة

(أ) ينفذ هذا الاتفاق اعتبارا من تاريخ انضمام المملكة المتحدة للميثاق

(ب) يكون هذا الاتفاق نافذا طيلة مدة بقاء العراق والمملكة المتحدة طرفين فى الميثاق .

واقرارا بذلك فان الموقعين ادناه المفوضين بالتوقيع على هذا الاتفاق قد وقعوه وختموه بأختامهم .

كتب بنسختين ببغداد فى اليوم الحادى عشر من شعبان سنة الف وثلاث مائة واربع وسبعين الهجرية الموافق لليوم الرابع من ابريل سنة الف وتسعماية وخمس وخمسين الميلادية باللغتين العربية والانكليزية . ويعول على كلا النصين على السواء الا فى حالة الشك فان النص الانكليزى هو المعول عليه .

## كتاب رقم (١)

صاحب المعالى

اتشرف بأن أشير الى الاتفاق الخاص الموقع عليه هذا اليوم بين الحكومة العراقية وحكومة المملكة المتحدة وبأن اقترح جعل النصوص المبينة فى المذكرة المرفقة بهذا الكتاب لفرض تنفيذ الاتفاق الخاص .

وبالاضافة الى ذلك أتشرف بأن اقترح انه اذا كانت تلك النصوص مقبولة من حكومة المملكة المتحدة فان الكتاب هذا والمذكرة المرفقة به مع جواب معاليكم يشكل اتفاقا بين حكومتينا يصبح نافذا بنفس التاريخ ويبقى معمولا به لنفس مدة العمل بالاتفاق الخاص وانه ستتخذ ترتيبات مفصلة بموجبه بين السلطات المختصة لكلا الحكومتين

وانتهز هذه الفرصة لاعرب لمعاليكم عن فائق تقديرى واحترامى .

نورى السعيد

## المذكرة المرفقة بكتاب رقم (١)

١ ـ (أ) تنتقل القيادة فى الحبانية والشعيبة والمعقل الى الحكومة العراقية اعتبارا من تاريخ توقيع الاتفاقية الخاصة ، ويعين ضباط عراقيون ذوو رتب مناسبة لهذا الفرض فى ٣ مايو ١٩٥٥ .

(ب) يجرى اخلاء جميع الوحدات الجوية المنسوبة للقوة الجوية الملكية البريطانية المقيمة حاليا فى الحبانية والشعيبة بصورة تدريجية ، وينجز اخلاؤها ضمن سنة واحدة بعد تاريخ التوقيع على الاتفاقية الخاصة .

(جـ) وكلما تقدمت عملية اخلاء هذه الوحدات الجوية تقوم حكومة المملكة المتحدة باخلاء الاشخاص المنتسبين للمجموعات الفنية والادارية وافراد منظمات الخدمة المعترف بها وذلك تدريجيا حتى لايبقى فى العراق الا من تتطلبهم اغراض الاتفاق الخاص وهذه المذكرة فقط .

٢ ـ (أ) بموجب نصوص الاتفاق الخاص ان الاشخاص البريطانيين سيكونون فى العراق لمعاونة القوات العراقية فى التدريب

وفى تاسيس وتشغيل وادامة التسهيلات والتجهيزات ولخدمة الطائرات .

(ب) أن قيادة وادارة الاشخاص والتاسيسات البريطانية تكون من مسئولية حكومة المملكة المتحدة . وتؤمن حكومة المملكة المتحدة لهذا الغرض الهيئةالبريطانية المطلوبة لقيادتهم وادارتهم تحتالسيطرة الشاملة للضابط العراقى المسئول عن كل مؤسسة .

(ج) يعمل الضابط البريطانى الاقدم المعين فى جميع الاحوال بارتباط وثيق مع الضابط العراقى الآخر .

٣ ـ تنطبق الاتفاقية الخاصة بوضعقوات فرقاء معاهدة حلف شمالى الاطلسى الموقعة فى لندن فى ١٩ يونيو سنة ١٩٥١ على قوات كل حكومة فى أراضى الاخرى ، وتتخذ التدابير المفصلة لتطبيق تلك النصوص من قبل الحكومتين بأسرعمايمكن . والى أن يتم اتخاذهذه التدابير فى العراق يستمر فى تنفيذ النصوص المعمول بها حاليا بحق القوات البريطانية .

٤ ـ (أ) عملا بمنطوق المادة (٤) من الاتفاق الخاص ، تتسلم الحكومة العراقية مسئولية حماية جميع المطارات والمؤسسات فى العراق . وللتوصل الى هذا الغرض يضم الى القوات العراقية من يرغب فى التطوع من منتسبى قوات الليفى العائدة للقوة الجويةالملكية البريطانية فى العراق ، وتيسرحكومة المملكة المتحدة للاعارة الىالقوات العراقية ولفترة محدودة أشخاصا بريطانيين يكونون جهد الامكان ممن يخدمون الان فى قطعات الليفى التابعة للقوة الجوية الملكية البريطانية وذلك لتسهيل انتقال وانضمام هذه القوات الى القوات العراقية .

(ب) تبذل الحكومتان جهدهما لتأمين استمرار تشغيل اكبرعدد ممكن من المدنيين المستخدمين حاليا فى الحبانية والشعيبة والمعقل .

٥ ـ تتعهد حكومة المملكة المتحدة بموجب الفقرتين (أ) و (جـ) من المادة (٦) من الاتفاق الخاص ، ولكى تسهل أقصى التعاون بين القوتين الجويتين للبلدين ، أن تبذل جهدها فى :

(ا) تامين المشورة الاختصاصية والمعونة فى القضايا الفنيـة وما يتعلق بالتشغيل ، بما فيه تجديد المطارات العراقية وانشاء مايتفـق على ضرورته من مطارات اضافية ووسائط معاونة .

(ب) تامين الاشخاص للمعاونة فى تدريب القوة الجوية الملكيـة العراقية وتقديم الاستشارات المستمرة المتعلقـة باساليب التدريب وفنونه فى جميع ادواره .

(جـ) ترتيب قيام اسراب من القوة الجوية الملـكية البريطـانية وطائرات بريطـانية اخرى بزيارات دورية للعـراق ، وذلك بموجب نصوص الاتفاق الخاص ، وهذه المذكرة ويتوخى منها بصورة خاصة تامين التدريب المشترك فى جميع الاوقات .

(د) تيسير الاشخاص البريطانيين فى العراق لفرض تامين خدمة الطائرات البريطانية وادامتها وتصليحها وكذلك ماقد يتفق على وجوب تأمينهم للمطارات المستعملة بصورة مشتركة من قبل الطرفين .

(هـ) تقديم التسهيلات وتشمل دورات التدريب خارج العراق لتدريب الاشخاص العراقيين اذا لم تتيسر التسهيـلات المناسبة فى العراق .

(و) تقديم التسهيلات الممكنة لتامين الطائرات الضرورية ومايلزم لها من معدات ، على أن تكون من طراز حديث .

٦ ــ تبذل حكومة المملكة المتحدة بالاشتراك مع الحكومة العراقية جهدها لتاسيس منظومة كفوءة للدفاع ضد الغارات الجوية بأسرع وقت ممكن ، على ان يشمل ذلك منظومة ( رادار ) للانذار ومنظومة للاخبار عن الطائرات .

وتنفيذا لهذه الاغراض تؤمن حكومة المملـكة المتحـدة لحكومة العراق معونة ومشورة ذوى الاختصاص من العسكريين او الفنيين .

٧ ــ لاغراض المادة (٨) من الاتفاق الخاص تدرب القوات العراقية الارضية بشكل يسـهل اقصى التعاون مع القـوات الارضـية للمملكة المتحدة ، ويؤمن اشـخاص بريطانيون مدربون وذوو خبرة للمعاونة فى تدريب القوات الارضية العراقية والحضور وابداء المشورة

فى تمارين الميدان وغيرها . تبـذل حكومة المملكة المتحـدة جهدها لتسهيل تجهيز الحكومةالعراقية بالاسلحة والمعدات المناسبة الاخرى من الطراز الحديث .

٨ ـ تتعاون حكومة المملكة المتحدة مع حكومة العراق فى ان تؤسس مقدما ، وان تديم بمستوى يتفق عليه ، منشآت الادامة بما فى ذلك وسائل تصليح الدبابات التى يتفق على كونها ضرورية للقوات العراقية والقوات البريطانية المتعـاونة معها فى حالة تعـرض العراق لهجوم ، وتؤمن حكومة المملكة المتحدة المشورة الفنيـة العسكرية فى تعيين مواقع المنشئات المذكورة وفى تشييدها كمـا تؤمن المشـورة والمساعدة فى ادامتها وتشغيلها .

٩ ـ أ ـ تؤمن حكومة المملكة المتحـدة ، بموجب اتفـاق بين الحكومتين ، تعاون ومشورة اشخاص ذوى اختصاص من عسكريين وفنيين لغرض تأسيس منظمة لمراقبة ورفع الالغام فى شط العرب .

**ب ـ تستمر الحكومة العراقية فى السماح للقطعات البحـرية البريطانية بزيارة شط العرب فى أى وقت كان على أن تخبر بذلك مقدما .**

١٠ ـ يستمر فى تطبيق القواعد وتقديم التسهيلات المعمول بها حاليا فى العراق فيما يخص مرور ونزول وتمون وخـدمة الطائرات العاملة تحت سيطرة القوة الجوية الملكية البريطانية ، ويجرى تطبيق القواعد وتقديم التسهيلات المماثلة فى المملكة المتحدة والمناطق التابعة لها الطائرات العاملة تحت سيطرة القوة الجوية الملكية العراقية .

١١ ـ ( أ ) تشترك حكومة المملكة المتحـدة مع حكومة العراق فى تأسيس اكداس من المدخرات والتجهيزات العسكرية فى العـراق لتستعمل من قبل القوات المسلحـة للبلدين فى الدفاع عن العراق فى حالة وقوع هجوم مسلح على العراق وتخزن هذه الاكداس فى محلات فى العراق يتفق عليها بين الجهات المختصة للحكومتين .

(ب) تؤمن الحكومة العراقية المستودعات الضرورية للمحـافظة على هذه الاكداس وتتحمل المسئولية الكاملة فيما يخص سلامتها .

(ج) للاغراض الادارية يجرى خزن الاكداس التى تعود لحـكومة

العراق مستقلا عن الاكداس التى تعود لحكومة المملكة المتحدة .

( د ) يحتفظ بالاكداس جاهزة للاستعمال فى جميع الاحوال . ولذا يجب تأمين مايلزم لادامتهـا وتقليبهـا وتفتيشها واستبدالهـا بصورة دورية . وتقوم كل حكومة بتامين الاشخاص اللازمين لهـذه المقاصد للاكداس العائدة اليها .

(هـ) لحكومة المملكة المتحدة حرية التصرف باى مواد من هـذه الاكداس العائدة ملكيتها الى حكومة المملكة المتحدة والتى قد تفيض عن احتياج الجهة البريطانية ، وفى حالة التخلص من هـذه المواد فى العراق يجب أن يسبق ذلك رفض الحكومة العراقية لها لاول مرة .

١٢ ــ ( أ ) تقوم حكومة العراق بتـامين الخـدمات الضرورية لاستعمال الاشخاص البريطانيين وتخصص عنـد الضرورة اسكانا ملائما لهم ولعوائلهم .

(ب) عندما يتفق بين حين وآخر على ضرورة تأمين تأسيسـات جديدة لاغراض الاتفاق الخاص وهـذه المذكرة فان الشروط التى يجرى تأمينها بموجبها يتفق عليها بين الحكومتين .

## كتاب رقم ( ١ ) أ

من سفير صاحبة الجلالة فى بغداد الى رئيس وزراء العراق

السفارة البريطانية

بغداد فى ٤ نيسان ١٩٥٥

صاحب الفخامة

تشرفت بتسلم كتاب فخامتكم المؤرخ فى هذا اليوم الذى تقترحون فيه ضرورة وضع النصوص المبينة فى المذكرة المرفقة بكتاب فخامتكم لغرض تنفيذ الاتفاق الخاص الموقع عليه هذا اليوم بين حكومة العراق وحكومة المملكة المتحدة .

واتشرف ، بعد قبول النصوص ، أن اؤيد ان كتاب فخامتـكم وجوابكم هذا يؤلفان اتفاقا بين حكومتينا وفقا لحدود هذه النصوص ويصبح نافذ المفعول فى اليوم نفسه ويبقى ساريا طيلة المدة المنصوص عليها فى الاتفاق الخاص نفسها ، واتشرف بقبول اقتراح فخامتـكم الاخر بأن ترتيبات تفصيلية ستضعها الجهات المختصة لكلا الحكومتين على هذا الاساس .

انتهز هذه الفرصة ....

( التوقيع )
مايكل رايت

## كتاب رقم ٢

صاحب المعالى

اتشرف بأن اشير الى الاتفاق الخاص الموقع عليه هذا اليوم بين الحكومة العراقية وحكومة المملكة المتحدة والى كتابينا المرقمين١ و١(أ) المتبادلين هذا اليوم ، وبان اقترح ان تكون النصوص المبينة فى المذكرة المرفقة بهذا الكتاب لفرض تنفيذ الاتفـاق الخاص والى الكتابين المشار اليهما .

وبالاضافة الى ذلك اتشرف بأن اقترح انه اذا كانت تلك النصوص مقبولة من حكومة المملكة المتحدة فان هذا الكتاب والمذكرة المرفقة مع جواب معاليكم تشكل اتفاقا بين حكومتينا يصبح نافـذا بنفس التاريخ ويبقى معمولا به لنفس مدة العمل بالاتفاق الخاص .

انتهز هذه الفرصة لاعرب لمعاليكم عن فائق تقديرى واحترامى .

صاحب المعالى السر مايكل رايت

كى.ام.جى

سفير صاحبة الجلالة البريطانية

بغداد

نورى السعيد

## المذكرة المرفقة بكتاب رقم ٢

( أ ) ان جميع الممتلكات غير المنقولة الموجودة حاليـا فى ملكية الجهات البريطانية اما ان تستمر فى الملكية البريطانيـة أو تسلم الى حكومة العراق او يترك لحكومة المملكة المتحدة حرية التخلى عنها .

ستسلم لحكومة العراق مجانا وبدون ثمن بعض التأسيسـات التى تخدم احتياجات كلتا الحكومتين . يدفع ثمن كافة الممتلكات غير المنقولة الاخرى التى يجرى تسليمها للحكومة العراقية بموجب ماجاء اعلاه بقيمتها وهى فى وضعها الراهن .

( ب ) تتمتع حكومة المملكة المتحدة بالحقوق الكاملة للاستخدام المجانى لكافة التأسيسات التى تسلم مجانا . يحق لحكومة العراق فى

الاحوال التى تكون بها قد دفعت ثمن الممتلكات غير المنقولة فرض اجور معقولة تقرر بالاتفاق عن استعمالها فيما بعد من قبل حكومة صاحبة الجلالة .

( جـ ) تكون كل حكومة مسئولة عن تشغيل وادامة الممتلكات غير المنقولة الممتلكة من قبلها ، تتفق الحكومتان حول المستويات الواجب مراعاتها . وفى الحالات المناسبة اقتسام التكاليف فيما يخص تشغيل وادامة التاسيسات التى تستخدم لاغراض كلتا الحكومتين .

( د ) تدفع حكومة العراق ثمن الممتلكات المنقولة المطلوبة لتشغيل الممتلكات المسلمة بموجب الفقرة «ا» اعلاه بتقدير الكلفة الكاملة اذا كانت جديدة وبتقدير معتدل اذا كانت مستعملة . تحتفظ حكومة المملكة المتحدة بكافة الممتلكات المنقولة الاخرى وتخول حق التخلى عنها فى داخل العراق او خارجه .

( هـ ) تتحمل حكومة العراق تكاليف منظومة الانذار الجوى العائدة لها وتحسين مطاراتها العسكرية بمستويات يتفق عليها .

( و ) تتحمل كل حكومة تكاليف قواتها الخاصة، والاشخاص المدنيين المستخدمين من قبلها . ويستثنى من ذلك ما تتكلفه حكومة العراق بصدد الاشخاص البريطانيين المعارين او المنتدبين للقوات العراقية حيث سيتفق على ذلك مشتركا .

( ز ) تجرى تسوية القضايا المالية الاخرى بالاتفاق بين الحكومتين

## من معالى سفير صاحبة الجلالة البريطانية

الى فخامة رئيس وزراء العراق

ياصاحب الفخامة :

لى الشرف أن اشير الى المفاوضات التي جرت حول تنفيذ الاتفاق الخاص الموقع بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٩٥٥ بين الحكومة العراقية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ارلنده . وأن حكومة المملكة المتحدة لترغب فى أن تعبر عن تقديرها لروح التعاون وحسن النية التي جرت بموجبها هذه المفاوضات . وكشركاء للحكومة

العراقية فى ميثاق بغداد وكأعضاء فى المجلس الذى عقد جلسته الاولى فانهـــا ترغب فى أن تتخذ خطوة أخرى نحو نمو هـــذه الصـداقة والتعاون ما بين بلدينا لانجاز الغايات المشتركة التى يهدف اليهاأعضاء ميثاق بغداد .

٢ ــ ففى المفاوضات المذكورة اعلاه توصلت الحكومة العراقية وحكومة المملكة المتحدة الى اتفاق كقسم من الترتيبات المالية تنفيذا لما نصت عليه الفقرة « أ » من المذكرة المرفقة بالمذكرة رقم ٢ والمؤرخة فى ٤ ابريل سنة ١٩٥٥ والتى اشارت الى الاتفاق الخـاص على ان تدفع الحكومة العراقية مبلغا قدره ٠٠٠ر١٧٥ر٢ باون الى حكومة المملكة المتحدة . وهذا المبلغ يتألف كما يلى :

( ا ) مبلغ ٠٠٠ر٣٧٥ر١ باون يدفع بدلا من الممتلكات التىانتقلت او التى استلمت من ملكية بريطانيا لتسلم الى الحكومة العراقية وفقا لنصوص المذكرة المرفقة بالمذكرة رقم ٢ . وهذه الممتلكات وثمنهاالذى اتفق عليه يتألف مما يلى :

المبانى فى الحبانية المقومة بمبلغ ٠٠٠ر٥٠٠ باون .

المخيمات المدنية المقومة بمبلغ ٠٠٠ر٩٠ باون .

المبانى والمنشئـــات الثابتة فى الشعيبة المقومة بمبلغ ٠٠٠ر٤٣٠ باون .

المبـانى والمنشئـات الثابتة فى البصرة المقومة بمبلغ ٠٠٠ر٣٥٥ باون .

( ب ) مبلغا قدره ٠٠٠ر٣٨٠ر١ باون يدفع لقاء حق تملك الارض العائدة لحكومة المملكة المتحدة فى البصرة . أما القوائم المفصـــلة للبنود المدرجة فى الفقرتين ا و ب المذكورتين أعلاه فسيتم الاتفاق عليها فيما بين ممثلينا .

٣ ــ وبهذه المناسبة لى الشرف ان اتقدم بالمقترحات التالية :

( ا ) تتنازل حكومة المملكة المتحدة عن دفع مبلغ قدره ٠٠٠ر٧٥٥ر٢ باون والمشار اليه اعلاه وستقبل ببالغ الرضا التزام الحكومة العراقية بالمواد الواردة فى بندى الفقرة ب و جـ المدرجتين بهذه الفقرة .

( ب ) سوف تخصص الحكومة العراقية مبلغ الـ ٢٫٧٥٥٫٠٠٠ باون للاغراض التالية خلال سنتى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ :

١ ـ مبلغا لا يقل عن ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ باون ليصرف على شراء اسلحة ومعدات ولوازم دفاعية من المملكة المتحدة .

٢ ـ ويستعمل ما بقى لسد نفقات تدريب العراقيين فى المؤسسات البريطانية ولسد النفقات المترتبة على الحكومة العراقية بسبب العراقيين الذين يتدربون بين قوات المملكة المتحدة والعراق .

( جـ ) ان حكومة المملكة المتحدة سوف تقبل عرض الحكومة العراقية من ان :

١ ـ تجعل من المتيسر فى ميناء البصرة وجود مخازن مجانية ـ ويشمل ذلك مخازن باردة والايواء المجانى وتقديم خدمات لافراد قوات الخدمة العامة من البريطانيين الذين قد يوجدون فى ميناء البصرة فى اى وقت من الاوقات وفقا للاتفاق الحالى .

٢ ـ الاستمرار فى تقديم التسهيلات المجانية القائمة الى وحدات قطع الاسطول البريطانى التى تزور شط العرب وفقا لنصوص الفقرة التاسعة من المذكرة المرفقة بالمذكرة رقم ١ المؤرخة فى ٤ ابريل سنة ١٩٥٥ التى اشارت الى الاتفاق الخاص .

٣ ـ اسداء الخدمات المجانية والمأوى والعناية بالطائرات العائدة للقوة الجوية البريطانية التى تزور الشعيبة من وقت الى آخر .

٤ ـ ولى الشرف فضلا عن ذلك بأن اقترح انه اذا كانت هذه المقترحات الموضحة فى الفقرة الثالثة من هذا الكتاب مقبولة لدى الحكومة العراقية فان هذه المذكرة مع جواب فخامتكم سوف يشكلان اتفاقا بين حكومتينا يوضع موضع التنفيذ على الفور .

٥ ـ انتهز هذه المناسبة لاجدد تاكيداتى بما اكنه لفخامتكم من تقدير واحترام

**مايكل رايت**

## من فخامة رئيس وزراء العراق

الى معالى سفير صاحبة الجلالة فى بغداد

ياصاحب المعالى

لى الشرف بان اشعركم انى استلمت المذكرة التى قدمها معاليكم بتاريخ هذا اليوم مشيرا فيها الى المفاوضات التى دارت بخصوص انجاز الاتفاق الخاص الموقع فى الرابع من ابريل سنة ١٩٥٥ فيما بين الحكومة العراقية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمالى ارلندا . وانى لاتشرف اذ اعلمكم أن قبولى المقترحات الواردة فى مذكرة معاليكم يؤكد ان تلك المذكرة مع المذكرة الجوابية سيشكلان اتفاقا فيما بين حكومتينا يوضع قيد التنفيذ فى الحال .

**نورى السعيد**

* * *

## الفصل التاسع

# نوفمبر .. شهر الثورة

خلال عشرين شهرا مضت على ميلاد حلف بغـــداد طرات على الشرق العربى تطورات غاية فى الاهمية .

لقد عقد حلف بغداد فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ بين تركيا والعـــراق اولا ، ثم دخلت اليه بريطانيا بعد أقل من شهرين . وتبعتها الباكستان فى الاول من يوليو .. وأخيرا ايران فى الثالث من نوفمبر من العـــام ذاته . ثم أصبحت الولايات المتحدة « مراقبة » للحلف ليس غير !

وخلال تلك الشهور القليلة بذل دعاة الاحلاف العسكرية جهـــدا كبيرا لتوسيع الحلف ، وتوريط الدول العربية فيه لتـــكمل الحلقـــة الوسطى من الحزام الطويل الذى يطوق الاتحاد الســـوفييتى واقطار الديمقراطيات الشعبية .

غير أن بعض الدول العربية كمصر وسوريا أبدت معـــارضة شديدة له .. بينما وقفت بعض الدول الاخرى مثل لبنان كالخجلى من دخول بيت سىء السمعة .

وفى ١٨ ابريل انعقد مؤتمر باندونج حيث ضم ٢٩ دولة من آسيا وافريقيا اجتمعت رغم تباين نظمها السياسية والاجتماعية لتنادى بفكرة « التعايش السلمى » ، وبأن عهد الاستعمار قد ولى ، وأن « الحرية والسلام كل منهما جزء من الآخر .. »

ووقفت دول باندونج ضـــد الاحلاف العســـكرية وشجعتها . واعلنت عن برنامج واسع لزيادة التضامن والتعاون بين الشـــعوب الاسيوية الافريقية .

وبعد باندونج كان ثمة طريقان أمام الشعوب العربيـــة : طريق باندونج المفضى الى الانفراج الدولى والتعايش السلمى ووأد الاحلاف الاستعمارية .. وطريق حلف بغداد المؤدى الى تثبيت الاســـتعمار

فى البلاد العربية ، وتحضيرها الى ساحة حرب ذرية ماحقة . وتأخير حل قضاياها الوطنية .

ورأت الشعوب العربية فى الطريق الاول تعبيرا صادقا عن ارادتها وانتصارا كبيرا لقضاياها الوطنية .

لقد كان مؤتمر باندونج بالنسبة لها نقطة انطلاق نحو التحررية والسلام والاستقلال الوطنى . وشدا لازرها فى كفاحها ضد القوى العدوانية التى تحاول أن تستخدمها وقودا للحرب .

وبعد مؤتمر باندونج قامت الشعوب العربية بتشديد نضالها ضد الاستعمار وضد الاحلاف . . وكان الوضع بعد مضى شهور قليلة على انعقاده كالآتى :

**فى الاردن :** اكتسح الشعب الاردنى حكومة هزاع المجالى بعد ٧٢ ساعة ، واحبط محاولة تمبلر لجره الى حلف بغداد . وطرد جلوب بعد زمن قصير .

**فى مصر :** ازدادت صلابة الحكومة المصرية ومعها الشعب المصرى فى معارضة حلف بغداد ، وفى تبنيها لسياسة التعايش السلمى ، وتوثيق صلاتها مع الصين والهند وجميع الدول المتحررة من الاستعمار . .

**فى السودان :** اعلنت الجمهورية السودانية لاول مرة وتبنت حكومة الازهرى رسميا انها ضد الاحلاف .

**فى سوريا :** توثق النظام الديمقراطى الجمهورى . وانتهجت الحكومة السورية طريقا مشابها لطريق مصر فى الاخلاص لمبادىء باندونج ، وتطبيقها فى سياستها الخارجية .

**فى العراق :** انعزلت حكومة نورى السعيد بعد أن فشلت محاولات الاستعمار فى جر اى قطر عربى الى الحلف المشئوم . وبدأ الشعب العراقى يستغل المكاسب العربية فى تشديد نضاله ضد حكومته الرجعية وضد حلف بغداد .

ومشت البلاد العربية من نصر الى نصر .

وكانت مبادىء مؤتمر باندونج تفتح لها آفاقا جديدة . وتؤكد استقلالها الوطنى ؛ وتثبت دعائم سيادتها الوطنية .

وبدأت الحركات العربية التحررية تنشط ؛ والسخط على الأحلاف العسكرية يشتد . وأخذت كثير من الدول العربية تنتهج سياسة مستقلة عن كل نفوذ أجنبى ؛ فتنشىء علاقات ثقافية وتجارية مع شعوب كان الاستعمار فى الماضى يحاول التشكيك فى نياتها ؛ ويعتبرها مناطق « محرمة » بالنسبة للشرق العربى ليحتفظ به كمنطقة نفوذ خاصة . وكسوق يستطيع التحكم بها ؛ ويملى شروطه عليها .

وبرزت مصر فى الطليعة كدولة آمنت بمبادىء باندونج وأخلصت لها . ورسمت لها سياسة حرة مبرأة من كل التزام يخل بقضاياها الوطنية .

وعرفت مصر بتجربتها الخاصة من الذين يعاملونها باخلاص ، ومن الذين يبيعون لها بضائع على حساب حريتها وسلامتها ورفاهية شعبها .

عرفت مصر الذين يبيعون لها السلاح لحماية مكاسبها الوطنية والذين يلوحون بالسلاح لحراسة مصالحهم الاستعمارية .

عرفت مصر السوق التى تزدهر فى عهد السلم ، والسوق التى تنشط حين يزداد التوتر الدولى ، وترتفع حمى التحضير للحرب .

وخرجت مصر منتصرة من تجربتها ، وارتفع رأسها فى شمم .

وطبيعى أن وضعا كهذا لا يرضى الاستعمار قط .. فبدأ يثير المتاعب ضد مصر ويشن حرب أعصاب ضد الدول العربية المتحررة ..

ومرة أخرى كسبت مصر الجولة .. وقابلت ألاعيب الاستعمار بأن خطت خطوة أخرى نحو تحررها الكامل . وأممت شركة قنال السويس .

وتأميم شركة قنال السويس حدث يعد انعطافا تاريخيا فى حركاتنا التحريرية فهو :

١ ــ قضى على وكر خطير اتخذه الاستعمار منذ زمن غير قصير لتهديد سلامة مصر واستغلال الشرق العربى كله .

٢ ــ اربك الاستعمار ارباكا شديدا بتسديد ضربة اقتصادية وسياسية له . وفى ذلك نصر لكل الشعوب التى ما زالت تكافحه فى أراضيها .

٣ ــ ضرب للشعوب مثلا رائعــا لحقها فى تخليص مواردها ومؤسساتها من الاحتكارات الاجنبية .

٤ ــ كشف الجبهة الاستعمارية التى تكتلت محاولة استنكار عمل مصر الشرعى .

٥ ــ فجر كل الطاقات التحررية التى تمتلكها الشعوب العربية ودفعها بحماس فى طريق الخلاص النهائى من كل نفوذ أجنبى .

وبعد تاميم قنال السويس دخل العالم العربى فى مرحلة جديدة فمن خلال التضامن مع مصر ولدت معركة وطنية مع الاستعمار على نطاق قومى كبير . وقد عبر عن هذه المعركة اضراب الشعوب العربية تضامنا مع مصر واحتجاجا على مؤتمر لندن فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ . واخذت معاركنا الوطنية تشتد حفاظا على مكاسبنــا وتطويرها . ونشأت جبهة قومية من الدول العربية المتحررة . وولدت مواثيــق ثنائية عربية تحمى أرضنا وسرى لهيب الثورة فى الجزائر والبحرين وعدن . واستيقظت الملايين العربية فى كل بقعة من الوطن العربى حتى جن جنون الاستعمار وقام بالعدوان الثلاثى على مصر .

والقت الشعوب العربية كل امكانياتها فى المعركة مفجرة كل الحقد الذى تضمره على الاستعمار وربيبته اسرائيل : جاعلة من معــركة بورسعيد معركة القومية العربية التى وجدت نفسها مهددة فى الصميم بحراب المعتدين الانجليز والفرنسيين والاسرائيليين .

وخلال هذه المعركة كان « حلف بغداد » يعمل ضــد القوميــة العربية ومعاركها ضد موقفها الموحد الى جانب السلام والحيــاد الايجابى .. ضــد صداقتها الجديدة لكل الشــعوب .. ضــد

حرصها على الاستقلال وايمانها بالتعايش السلمى .. وبدت حكومة نورى السعيد الدولة العربية الوحيدة التى دخلت مستنقع الحلف ، منبوذة معزولة ضعيفة أمام التيار العربى المتيقظ تبذل كل ما فى طاقتها لتبرير وجودها .. والوقوف ضد الشعب العراقى الذى لم ينعزل يوما واحدا عن أمته العربية .

ومنذ أن جرت محاولات جدية لعقد حلف بغداد كان الشعب العراقى يشن نضالا قويا ضدها . فقد قابل زيارة عدنان مندريس الاولى بمظاهرات قمعت بالرصاص ، وفى زيارة مندريس لتوقيع الحلف ، عبر الشعب العراقى عن رأيه بأشكال اخرى . وبعد توقيع الحلف ارتفع صوته أكثر من مرة يشجب الحلف ، ويطالب بأن يقف العراق رسميا فى صف الجبهة العربية المتحررة .

وخلال سنة ونصف كان الشعب العراقى يناضل بمختلف الاساليب سواء عن طريق المظاهرات التى كانت تفرق بالرصاص فورا او عن طريق تكتل كثير من العناصر الوطنية وراء ميثاق وطنى لمناوأة الحلف وحكومة نورى السعيد ، أو عن طريق العرائض ذات التواقيع الكثيرة . أو فى مناسبات معينة تستخدمها الجماهير لاعلان سخطها على الحكومة كما حدث فى السليمانية أثناء انتخابات البلدية ، وفى الموصل أثناء اضراب القصابين .

وكانت حكومة نورى السعيد تتهرأ فى محيط يضطرم بالثورة ، داخل العراق وخارجه . فلا تستطيع الاحتفاظ بالحكم الا عن طريق تشديد حكمها الاسود ، واللجوء الى مزيد من الاجراءات التعسفية .

وعند وقوع العدوان الثلاثى قام حلف بغداد بالدور المرسوم له بعد أن ادى بعض الحركات البهلوانية للتغطية . ومن أول يوم خرجت الطائرات البريطانية من مطارات العراق ، واستخدم الانجليز الامتيازات التى حصلوا عليها من « الاتفاق الخاص » استخداما مشينا ، ورضيت حكومة نورى السعيد أن تقوم بدور مماثل لدور اسرائيل .

وتنبه الشعب العراقي الى ذلك . واجتاحت العـــراق الثورة في نوفمبر .. الشهر الذى شهد العدوان الغادر على بور سعيد . وقد سبقت ذلك حوادث الاحتجاج على مرور رئيس وزراء الباكستان بالبصرة . فقام المواطنون في الميناء العراقي بمظاهرات صاخبة محتجين على سياسة حلف بغداد والمعارضة لحركة التحرر العربي وفي نوفمبر كانت النجف المدينة التي اشتركت في كثير من الثورات أول مدينة اعلنت الثورة ، وخرجت في مظاهرات عنيفة قمعت بشدة . واستباح بوليس نوري السعيد حرمة العتبات المقدسة . واعتدى على رجال الدين . واشتد اوار الثورة عندما تكشفت مؤامرة نوري السعيد على سوريا فقامت المظاهرات في بغداد والحي والموصل والسليمانية والبصرة وكثير من المدن العراقية . وتزعزع حكم نوري السعيد فاستعان بالجيش للوقوف ضد الشعب . وعزلت مناطق الثورة ، واتخذت اجراءات قمعية صارمة . وفي حالات كثيرة فقدت حكومة بغداد سيطرتها على مناطق واسعة ومدن كثيرة .

ولجأت الحكومة الى اعلان الاحكام العرفية وتعطيل الدراسة في الكليات والمدارس وتم اعتقال مئات المواطنين . وأصبحت المدن الرئيسية في العراق ممتلئة الى حافتها بالبوليس وسيارات الجيش المصفحة . وأعطى رجل البوليس حق اطلاق النار دون استشارة أحد .

واشترك الفلاحون العراقيون بالثورة . فقامت حركة تمرد في الفرات الاوسط وفي اربيل والسليمانية وارسلت فرق عسكرية لقمع هذه الحركات . وكان الفلاحون العراقيون في عهد نوري السعيد يقومون بقسط ملحوظ في الاحتجاج على الحكم الاسود . وعلى رعاية نوري السعيد للاقطاع ، وتشجيعه لحرمان الفلاحين من أبسط الحقوق فقام فلاحو الحلة بعقد مؤتمر وطني ضم ( ٣٠٠ ) مندوبا وانتهى بقرارات وطنية . واشتدت حركات الفلاحين في لواء العمارة مطالبين باقتسام الحاصل ، وقامت حركة اخرى من اجل توزيع الاراضي الاميرية المعطاة باللزمة توزيعا عادلا . كما قامت حركة كبيرة

فى قرى اربيل حيث اضطرت حكومة نورى السعيد الى ارسال اعداد كبيرة من القوات لقمعها وترحيل الفلاحين عن قراهم ، وانتزاع زعماء الحركة منهم .

ويمكن ان نلاحظ فى احداث نوفمبر مايلى :

١ ـ انها جزء من ثورة القومية العربية ضد الاستعمار واحلافه

٢ ـ ان الوعى الذى اخذ ينتشر فى الريف العراقى دفع الفلاحين الى المساهمة فى الثورة .

٣ ـ ان الشعب العراقى اشترك فيها بكافة طبقاته وميوله السياسية والاجتماعية وان الحركات الثورية كانت تقودها جبهة وطنية واسعة .

وبالرغم من ان احداث نوفمبر لم تنته باسقاط حكومة نورى السعيد . والخروج من حلف بغداد فقد اتت بنتائج اخرى عظيمة يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ اظهرت حوادث نوفمبر حقيقة الحكم الاسود الذى يسود العراق الآن كما أظهرت مقدار كراهية الشعب العراقى لحكومةنورى السعيد ، وكشفت كل الاغطية التى كان يخفى نورى السعيد وراءها حقيقته كعميل أول للاستعمار وسند قوى لاسرائيل .

٢ ـ اظهرت حوادث نوفمبر الدور الكبير الذى يمكن ان تلعبه الشعوب العربية فى نصرة الشعب الذى يبتلى بحكومة مفروضة عليه فرضا .

٣ ـ كشفت حلف بغداد كأداة استعمارية توجه ضد حركاتنا التحريرية .

٤ ـ زادت من عزلة حكومة نورى السعيد التى أصبحت موضع سخط جميع الجماهير العربية وحقدها .

٥ ـ نبهت الى الخطر المباشر الكامن فى بقاء حكومة نورىالسعيد والى تهديدها الجديد لكل مكاسبنا الوطنية .

* * *

# الفصل العاشر

# نداء إلى الشعوب العربية

حاولت فى الصفحات القليلة الماضية ان ارسم صورة صغيرة للحكم الاسود الذى يسود العراق الآن .. الحكم الذى امتد ستة وثلاثين عاما كان الاستعمار الانجليزى خلالها يتحكم بكل شيء فى العراق :

كان يتخذ من ارضه قواعد لجيوشه . ويلتهم موارده وينهبها . ويحتكره كسوق لامجال للمنافسة عليها . ويربط اقتصاده الوطنى باقتصاده ذى الازمات ... وأخيرا يهيىء أرضه لتكون أرض حرب مقبلة .

ومنذ اليوم الاول الذى دخلت فيه الجيوش الانجليزية العراق عرف المستعمرون انهم لن يستطيعوا الحكم مباشرة . والشعب العراقى يطالب بالحكم الذاتى ، فأنشأ المستعمرون تحت وصياتهم حكما « وطنيا » كان طوال الوقت حربة يضعونها فى صدور المواطنين . وبدا تنفذ لهم مايريدون . وحين وجد الانجليز من العراقيين اصرارا على الاستقلال بدأوا يساومون معهم . ومع المساومة كان ثمة جهاز قمع يعمل لهم . وكلما فشلوا فى مساومة انشأوا جهازا جديدا للقمع ، ولجأوا الى وسيلة اخرى فى التكتيل . وأباحوا للذين جعلوا منهم حكاما ارتقاء درجة جديدة من سلم الدكتاتورية ... وبمضى الوقت أخذت اجهزة القمع تتراكم ، وتقاليد الحكم الاستبدادى تترسخ فى عقول « الطبقة المالكة » . وفى النصف الثانى من القرن العشرين لم يعد ثمة شيء لاينتهك ولا يباح !

**ان حكم نورى السعيد اليوم يمثل آخر ماتوصل اليه الاستعمار من صور الحكم الاستبدادى .. وانه حصيلة ستة وثلاثين عاما من**

**كراهية الشعب والحقد عليه ، من التعود على انتهاك كرامة الانسان من العبث بالقوانين ... ومن التحلل الخلقي !**

ان الذين يحكمون العراق اليوم باسم الانجليز هم الذين عاصروا الاستبداد التركي . وتشبعت نفوسهم به ، وشهدوا الاحتلال الانجليزي وتربوا على الخنوع له . وظلت عقليتهم جامدة متحجرة لاتتقبل اى تغير .. ظلت تتذكر اساليب الحكم التركي وتستخدمها ودرجت على الحكم تحت حراسة الجيوش الانجليزية والقواعد الانجليزية . والمستشارين الانجليز .. ومع ان الدستور نص على ان اسلوب الحكم فى العراق ديمقراطى نيابى . فان الديمقراطية كانت مثار هلع هؤلاء الحكام ورغبتهم ، ذلك لان الدستور نفسه قد وضع على الرف . بعد أن مسخ مسخا مزريا .. والذين يطالبون اليوم بالديمقراطية فى العراق أو العمل بالدستور يحاسبون حسابا عسيرا ويفتك بهم اشد الفتك .

ومن الخطأ ان نظن مجىء نورى السعيد الى الحكم حدثا داخليا يهم العراق وحده ، ونعمل بحكمة نورى السعيد نفسه فى « أن نترك العراق وشأنه » .. لا ! .. ان هذا الظن لايستقيم مع منطق الحوادث ذلك لان نورى السعيد جاء مبعوثا للقيام بمهمتين مهمة فى النطاق الداخلى .. ومهمة فى النطاق العربى !

فى العراق كان الوضع غاية فى الصعوبة بالنسبة للمستعمرين فقد تلقت مشاريعهم ضربات قاضية ، وفشلت محاولاتهم العديدة لادخال العراق فى الاحلاف . وبعد ستة أعوام من المحاولات ، ومن الارهاب المركز ، لم يستطع الجمالى ان يتقدم فى الطريق المرسوم له . بل بالعكس لقد تنبه الشعب العراقى على صوت الجمالى المرتجف وهو يدعو الى الاحلاف واتحدت طبقات الشعب فى جبهة وطنية دفعت الى المجلس النيابى — لاول مرة فى تاريخ العراق — باكبر جبهة من النواب تقف ضد الاستعمار واحلافه ومشاريعه الجديدة .. وكان كل شىء يدعو الاستعمار ان يقوم بجولة اخرى لضرب الحركة الوطنية وفرض مايريد بالقوة .

وفى العالم العربى كانت مصر قد استطاعت تنظيف ارضها من الجنود الانجليز . وبدات تسعى فى الطريق الموصل الى الاستقلال التام والانعتاق من كل نفوذ اجنبى . وفى سوريا طرد الشيشكلى شر طردة وعاد النظام الجمهورى الديمقراطى بعد غياب طويل . وبدا الشعب السورى يحكم ، ويفرض رايه . وفى الاردن كان ثمة حركة وطنية نامية ، وفى لبنان كذلك .

وبالاضافة الى ذلك كان الاستعمار الانجليزى يحس بخطر آخر يهدد مناطق نفوذه التقليدية . وهو خطر الاستعمار الامريكى الزاحف .. المتلىء بالجشع والامال الجسام

وكان على الاستعمار الانجليزى ان يختار رجلا مشهورا باخلاصه له وباستهاره بجميع القوانين ليقوم بمهمة تصفية الحركة الوطنية فى العراق ، وترسيخ النفوذ الانجليزى فيه — وانشاء حلف يجمع كل الدول العربية يربطها بالاستعمار ، ويستخدم لتحطيم كل حركة تحريرية .. ولا بأس بعد ذلك من ان يتفق الانجليز مع اخوانهم الامريكيين على خطة مشتركة لاقتسام المغانم !

وهكذا جاء نورى السعيد الى الحكم .

وهكذا ولد حلف بغداد والاتفاق الخاص بين بريطانيا والعراق .

واذا فشل نورى السعيد فى تحقيق الخطة كاملة وهى ضم الدول العربية كلها لحلف بغداد .. فلا يعنى ان خطره قد زال او اصبح اقل شأنا ، او ان المستعمرين اقتنعوا بهذا النصيب من الغنيمة .

ان نورى السعيد خلال عشرين شهرا من الحكم وصل الى قمة الاستهتار ، وجعل السيادة فى حكمه للرصاص والسجون والمشانق

**ان المشانق تنصب الآن للوطنيين ، وتعبأ السجون بالمئات منهم ويرسل آخرون فى المنافى البعيدة .. ولم تعد هناك حرمة لمقدس او احترام لقانون .**

**لقد استبيح كل شىء للبوليس .. المدارس ودور العلم والعتبات المقدسة ، والمساجد والبيوت الامنة . واصبح لكل عائلة عراقية شهيد**

أو سجين او مبعد او مطارد لايعرف متى يصطاده رصاص البوليس ولم يعد ثمة من امان لاحد . والذين يخرجون من بيوتهم فى الصباح لايعرفون أيعودون اليها فى المساء أم لا ! وأخذ البوليس ينتزع المواطنين من بيوتهم او من الشارع ويرسلهم الى جهات مجهولة ، أو يقدمهم الى المجالس العرفية حيث تصدر أحكام سرية ضدهم .

لقد أصبح كل مواطن عراقى محاربا فى رزقه يعيش فى سجن كبير يحق لسجانيه ان يطلقوا الرصاص متى شاءوا دون ان يحاسبهم قانون . واقيمت الحراسة على حدود هذا السجن الكبير وارتفع سور ضخم من الرقابة يحجب النور عن ستة ملايين انسان فرضت وصاية الجلادين عليهم ومنعت عنهم الثقافة النظيفة والاخبار الصحيحة ، وأغلقت كل طريق شرعية للاتصال بالعالم الخارجي .

وبدأت حملة انتقام همجية ، فقدم الساسة المعارضون لحلف بغداد الى المحاكم العسكرية وصدرت أحكام صارمة ضدهم ، ونكل بكل مواطن يرفع صوته باحتجاج ، واجتاح البوليس المدجج بالسلاح مدنا بكاملها ، وعاث بها فسادا .

حدث هذا فى النجف حيث مرقد الامام على بن ابى طالب ، وحدث هذا فى الحى المدينة الباسلة التى أعدم نورى السعيد اثنين من مواطنيها أحدهما شيخ اشترك فى الثورة العراقية . وحدث هذا فى الموصل والسليمانية حيث يجرى على الدوام قتال فى الشوارع .

كل ذلك يجرى اليوم داخل العراق .

أما فى الخارج .. فان حلف بغداد لم يكف عن العمل ضد امتنا العربية ساعة من نهار !

فعندما كانت مصر تخوض معركة القتال وتحارب المعتدين الانجليز والفرنسين والاسرائيليين . كان نورى السعيد يطبق بنود حلف بغداد بحذافيرها ، فيفتح مطارات العراق لقاذفات القنابل البريطانية ، ويزودها بالوقود ، ويقدم للجنود الجرحى المأوى والدواء ويفتح البترول الى مصافى حيفا .

وحين كانت سوريا تحمى مؤخرة مصر كان نورى السعيد بالاشتراك مع الانجليز يتآمر عليها . ويرسلون اليها الاسلحة ليستخدمها القتلة والخونة والمطرودين من الجيش والحاقدين على الوعى الوطنى .

واذا كانت اسرائيل تهدد الاردن . وتحشد قواتها للقيام بعدوان جديد كان نورى السعيد يتربص للاردن . ويرسل قسما من الجيش ليقوم بالدور الذى يريده حلف بغداد . ويحاول التدخل فى شئون الاردن الداخلية .

ان حلف بغداد كان طوال معركة القنال البؤرة التى تخرج منها وسائل الدمار والتخريب ، وتحاك فيها الدسائس والمؤامرات .

ان انتصاراتنا فى معركة القنال ، وضد المتآمرين على جمهورية سوريا الديمقراطية ، وعلى الحكم الوطنى فى الاردن لايعنى أن المستعمرين كفوا عن التفكير فى عدوان آخر او مؤامرة جديدة . . ! !
فما دام نورى السعيد فى الحكم ومادام حلف بغداد فى الوجود فسيظل الخطر يهدد كل مكاسبنا وستظل المؤامرات تحاك لدك صرح انتصاراتنا .

ومادام الاستعمار يجد قدمه راسخة فى وطن عربى سيفكر كل يوم بمؤامرة ، ويحلم كل يوم بعدوان جديد .. وستظل حكومة نورى السعيد النافذة التى تتسلل منها كل المؤامرات الاستعمارية . .

ان الشعوب العربية اليوم مدعوة لان تقوم بعمل مشترك واع ضد الحكومة التى تنظم المذابح فى الشوارع وتتآمر على استقلالنا وسيادتنا الوطنية .

ان شهداء الحرية فى العراق ، أولئك الذين نصب الحكم الاسود المشانق لهم ، وحصد ارواحهم حصدا فى الشوارع والمدارس والمساجد والعتبات المقدسة .. ان مئات من السجناء والمشردين والمطاردين والذين يحملون ارواحهم فى اكفهم .. ان عشرات العوائل المفجوعة بعائلها ورب بيتها .. تستصرخ الشعوب العربية بأن تهب ضد أبشع حكم بربرى فى الوطن العربى .

ان مئات من شهداء بور سعيد .. اولئك الذين قتلتهم الطائرات التى زودها نورى السعيد بالقنابل والوقود .. تدعو الامة العربية للثأر المقدس .. لكيلا تعود الخيانة تطل براسها مرة اخرى .

ان شهداء غزة وكفر قاسم وكل قرية اباحها الصهاينة بدباباتهم وسياراتهم المصفحة التى امدها نورى السعيد بالوقود .. يستغيثون بالشعوب العربية من الذين يطعنونها من الخلف ، ويشتركون مع العصابات الصهيونية بتنظيم المذابح .

ان حكومة نورى السعيد تمثل اخطر مباءة للاستعمار فى شرقنا العربى . وهى بما تحمل من حقد على حركاتنا التحريرية ، وبما ترتبط من صلات مع الاستعمار ، وبما يهدد وجودها من خطر داخل العراق لاتخجل من ارتكاب اسوأ الجرائم لقلب الاوضاع الوطنية ، وارجاع النفوذ الاستعمارى عن المناطق التى تقهقر منها .

وفى عشية عيد الميلاد .. عندما كانت مصر تضمد جراحها ، وتبدا بتعمير بور سعيد كان نورى السعيد يوجه رسالة استجداء ونجدة الى ايزنهاور يطلب منه الانضمام الى حلف بغداد ، ويستعديه على الشعوب العربية المستقلة ، ويسأله التدخل فى شئونها .

وقد تم لنورى السعيد ما أراد .

فبعد عشرة أيام من رسالة الاستغاثة هذه طلع ايزنهاور بمبدائه وهدد الشرق العربى عدوان جديد .

وفى ظل هذه الحماية الجديدة سيعمل نورى السعيد ضد الامة العربية .. سيدبر المؤامرات ، ويرسم الخطط ، ويحلم باليوم الذى ينهار فيه كل ماكسبناه فى معركة الدم والنار .. فلم لاتقوم الشعوب العربية بالدفاع عن مستقبلها ، ومكاسبها ، وشرف وطنها؟!

**أن الشعوب العربية مدعوة لان تعمل لكنس وكر الخيانة والدسيسة .. مدعوة لان تنظف ارضها من اذارات الاستعمار وعملاء الاستعمار .. مدعوة لان تهب لنصرة ستة ملايين يقاومون ببسالة دكتاتورية لم يعرف لها التاريخ العربى مثيلا .**

ان الشعب العراقي لم تخمد ثورته ولن تخمد حتى يزيح الكابوس الاستعماري من عليه فلنقف جميعا الى جانبه في أخطر مرحلة يمر بها .. لنعاونه على قوى الظلم والاستعمار التي تضطهده وتهدد كل كياننا الوطني .

ليكن شعارنا مقاطعة حكومة نوري السعيد وكل حكومة ترث تركته ، وتحاول الاحتفاظ بحلف بغداد .

أن الاستعمار الامريكي اليوم بدأ يزحف خلف مبدأ ايزنهاور .. وبدأ الذين كانوا يستندون الى الاستعمار الانجليزي في الماضي يفكرون بسيد جديد خلفا للاستعمار البريطاني المنهار . والقضية حسب تفكيرهم لاتخرج عن أمرين : اما أن يرث الامريكان كل أملاك الانجليز ، واما أن يتقاسموا هذه الاملاك .. وفي كلا الامرين يريدون ان يكسبوا ، ويحتفظوا بالحكم لهم ولاصدقائهم .

انهم يفكرون في هذه الفترة ببديل جديد لنوري السعيد بلباس « رعاة البقر » يرضى عنه الاستعمار الامريكي ، ويستطيع بواسطته التغلغل الى العراق ، والقيام بدور الاسياد الذين انهزموا في معركة القناة ومعارك الاردن .. وكل الشعوب العربية .. وهم لكي ينجزوا هذه المهمة بيسر يريدون أن يأتوا برجل يقوم بتهدئة نسبية للحال الثائرة مع الاحتفاظ بكل الروابط التي تربط العراق بالاستعمار .

لنكن على حذر .. فتلك لعبتهم الحالية .. واذا كانت الشعوب العربية المتحررة قد عبرت تعبيرا واضحا وجريئا عن رفضها لمشروع ايزنهاور .. فلنأخذ على عاتقها كشف كل محاولة أمريكية للتسلل الى البلاد العربية التي لم تتحرر بعد .

ليكن ضمن واجبنا الوطني في مكافحة الاستعمار الامريكي ومشروع ايزنهاور العدواني فضح كل مؤامرة لترميم الحكم الاستعماري المتداعي في العراق بنفوذ امريكي جديد يعيد المآسي ، ويصبح حربة في ظهر الجبهة العربية المتحررة .

ان معركتنا الوطنية اصبحت واضحة جدا .. انها ضد الاستعمار

ومشاريعه ، وضد جميع الالوان الجديدة لسيطرته ، ومن أجل هذا كشفت الشعوب العربية مشروع ايزنهاور وكافحته ، وستكشف كل مشروع استعمارى مماثل وتكافحه .

ان معاركنا فى القنال وفى سوريا وفى الاردن كشفت لنا الجبهة الاستعمارية كشفا صريحا دقيقا ، وعلمتنا من هم أصدقاؤنا ، ومن الذين عاونوا المعتدين من خلف ستار .. ومن الذين ساعدونا بصدق، ..وحين لم يكن من سبيل لوقف العدوان الا أن يخوضوا معنا المعركة جنبا الى جنب لم يتوانوا فى ذلك .. رغم ما فى ذلك من خطر على أعز مايحرصون عليه .. على السلم العالمى .. ذلك لان الحرب التى خضناها كانت حربا من أجل أوطاننا وحريات الشعوب وسلام العالم .

اننا خرجنا من معاركنا بوعى جديد .. وأصبحنا نعرف أن الانجليز والفرنسيين والاسرائيليين حين كانوا يقتلون اطفالنا ، ويهدمون البيوت الآمنة ، ويحملوننا على اطفاء الانوار التى نحبها .. كانوا يعرفون أن وراءهم سندا قويا هو أمريكا التى لن تضعهم فى مازق !

ان امريكا كانت وراء العدوان .. لقد كانت ترقب كل خطوة .. وتدفع المتآمرين على أوطاننا .. وحين فشل هؤلاء تريد اليوم أن تأخذ الامر على عاتقها .. وتقوم بعدوان جديد .. وتتسلل الى شرقنا العربى من خلال الحكومات المفروضة على شعوبهافرضا . والحكام السود اليوم فى العراق مفوضون للقيام بهذا الدور ..

فلنكن على حذر ..

لنكافح كل محاولة للابقاء على حلف بغداد ، أو اعادة صياغة أغراضه بألفاظ جديدة .. مع المحافظة على كل مظاهر الحكم الاسود ..

ليكن شعارنا مكافحة الاستعمار أمريكيا كان أو انجليزيا أو فرنسيا .. ولتغلق كل النوافذ امام تسلل النفوذ الاستعمارى الجديد

الى ديارنا بفضح كل حكومة تحاول ان تستر على هذا النفوذ بحجة من الحجج .

انهم فى العراق اليوم يحاولون المقامرة بمستقبل شعب ناهض .. انهم يريدون أن يفتحوا مصاريع الابواب للاستعمار الامريكى مرحبين بمغامراته وأسلحته الفتاكة وقنابله الذرية .. ولا يهمهم بعد ذلك أن يكون شعب العراق هدفا للصواريخ الموجهة ، والتدمير الشامل . فقد تعودوا على الهروب عند الاخطار .

.. هم الآن يلعبون بالنار ، ويعقدون صفقة الموت مع تجار الحروب والمتعطشين للدماء البشرية ، والحاقدين على مكاسبنا الوطنية .. فلنكن لهم بالمرصاد .. ولنترقب كل خطوة يخطونها لنبين ما فيها من خطر على مستقبل الحياة فى أوطاننا .. ولنكن على ثقة فى النصر .. ذلك لان النصر كان يظلل كل معاركنا السابقة ، وسيظل يرفرف فى أرض كل معركة جديدة نخوضها .

ان ثمة خطرا جسيما يهدد ماكسبناه بالدم والدماء .. ان هذا الخطر يهدد كل معاقلنا ويطعن فى الصميم سياسة مصر الاستقلالية ويرجعنا الى الوراء معيدا نير الاستعمار وحكم الفئات الرجعية فى الاقطار العربية المتحررة ..

انهم بدأوا يلعبون تحت الستار . ضد حياة شعوبنا ، فلنكن على حذر منهم .. ان مصر تقف اليوم فى الطليعة معبرة فى سياستها الاستقلالية العظيمة عن أعز ماتؤمن به الشعوب العربية كلها .. ونحن لكى نحمى مصر العظيمة .. مصر قلعة الاستقلال يجب أن نتنبه الى كل التيارات المدسوسة وكل الالوان المبتكرة للسيطرة الاستعمارية ونفضحها ، ونبين خطرها على مستقبلنا ..

اننا لكى نحمى جمال عبد الناصر البطل التى تتمثل فيه مكاسبنا الوطنية ، يجب أن نضرب بشدة على كل يد استعمارية تحاول أن تقوض كل ماسعى اليه وآمن به وحققه فى ميدان تدعيم استقلالنا الوطنى وقوميتنا العربية ..

ان الاستعمار اليوم يتخبط محاولا أن يرمم الصدع الذى احدثته معاولنا فى كيانه ويقوم بمغامرة جديدة تحت شعار آخر .. فلنحكم الابواب والنوافذ فى وجهه ولنحبط كل محاولاته .. ان جبهتــه تتداعى أمام معاول كل الشعوب المحبة للسلم والحرية ..

أما جبهتنا .. الجبهة التى تتبلور فيها كل أمانى الانسانية .. جبهة السلم والحرية والديمقراطية فتزداد كل يوم قوة وصلابة .. فالنصر لنا ..

والموت للمستعمرين وتجار الحروب .

* * *




## مسابقة ادبية وثقافية وفنية
## مهرجان الشباب بموسكو

سيعقد مهرجان موسكو فى اغسطس ١٩٥٧ وسيلتقى هناك وفود الشباب من سائر بلدان العالم ليتعاهدوا معا على حماية شعارات ..

(( الاخاء ـ التعاون ـ الرخاء للبشرية ـ منع الحروب وضمان السلام للعالم ))

وستعقد هناك مسابقة أدبية وثقافية وفنية (( قصص ـ شعر ـ بحوث ـ رسوم )) تشمل الاعمال التى تعبر عن أهداف المهرجان ..

ومساهمة فى هذه المسابقة تعلن (( دار الفكر )) أنها ستنشر الاعمال التى تعبر عن هذه الاهداف التى سترد اليها حتى اول يوليو ١٩٥٧ وستقدم الكتب التى ستنشرها تحت شعار المهرجان الى المسابقة .

وفى هذه المرحلة الفاصلة التى يخوض فيها الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية أنبل معركة من اجل السيادة القومية والارتقاء بمستوى حياة الانسان وحماية سلام العالم ، تناشد (( دار الفكر )) الكتاب والفنانين الشبان ان يساهموا بانتاجهم فى هذه المسابقة لنظهر للشعوب الاخرى الوجه الحقيقى لاوطاننا ولنحمى بانتاجنا الآمال التى ستلتقى من اجلها وفود الشباب (( الاخاء ـ التعاون ـ الرخاء للبشرية ـ منع الحروب وضمان السلام للعالم )) .

(( دار الفكر ))

الثمن ١٠ قروش دار الهنا للطباعة والنشر